



This book is provided in digital form with the permission of the rightsholder as part of a Google project to make the world's books discoverable online.

The rightsholder has graciously given you the freedom to download all pages of this book. No additional commercial or other uses have been granted.

Please note that all copyrights remain reserved.

About Google Books

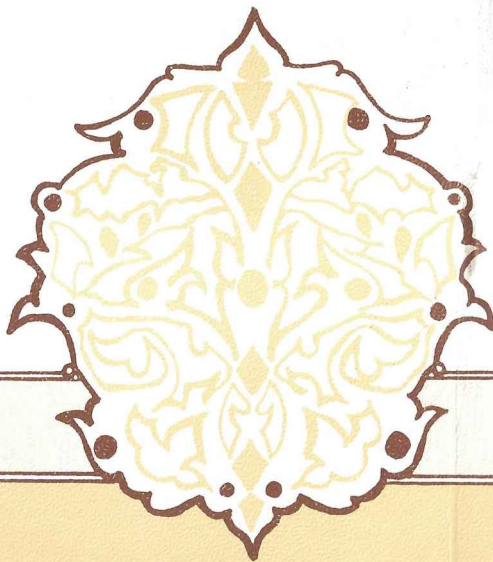
Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Books helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at <http://books.google.com/>

مِنْ هَدْيِ الْإِسْلَامِ

٢

هَذَا الْإِنْسَانُ

بِقِطْعَةٍ
فَضِيلَةِ الْأُسْتَاذِ
أَحْمَدَ عَزَّ الدِّينَ الْبَيَّانُوفِي
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى



دارُ السَّلامِ

للطباعة والنشر والتوزيع

مِنْ هَدْيِ الْإِسْلَامِ
١١

هَذَا الْإِسْلَامُ

بِقِطْعَةٍ
فَضِيلَةِ الْأَسْتَاذِ
أَحْمَدَ عَزَّ الدِّينَ الْبَيَّانُونِي
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

بِإِذْنِ السُّلْطَانِ
لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ وَالتَّرْجُمَةِ

الطبعة الأولى

١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة

لِلنَّاشِرِ

دار السَّلام للطباعة والنشر والتوزيع

القاهرة ص.ب : ١٦١ غورية . ت : ٩٣٥٦٤٤

حلب ص.ب : ١٨٩٣ . هـ : ٣٣٧٧٥١

بيروت ص.ب : ١٣٥٣٣٧

التعريفُ بالمؤلف

هو: الشيخ أحمد عز الدين البيانوني، الملقب بأحمد الصياد.
ابن الشيخ عيسى البيانوني رحمه الله .

والبيانوني:نسبة إلى قرية «بيانون» التي تقع شمالي مدينة حلب على بعد خمسة عشر (كيلو متراً) تقريباً وهي مسقط رأس والده الشيخ عيسى رحمه الله تعالى .

ولد الشيخ أحمد عام ١٣٣٠هـ - ١٩١٣م في مدينة حلب، واستقر مقامه فيها مع والده رحمه الله تعالى، وكان والده من كبار علماء البلاد المشهورين بالعلم والتقوى والصلاح .

عمل المؤلف في حقول التربية والتعليم المختلفة، حتى طلب الإحالة إلى التقاعد عام ١٩٦٨م. كان مهتماً بالدعوة الإسلامية عامة، والتربية العملية خاصة، أخذاً بالعزائم حريصاً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى عرف بذلك في نفسه وأسرته وإخوانه ومحبيه ...

انطلق عام ١٩٦٥ م في تكوين مدرسة تربوية خاصة نسبت إليه ، وعرفت فيما بعد ، باسم « جماعة أبي ذر » نسبة إلى مكان تأسيسها ، حيث نشأت في جامع أبي ذر في حي الجبيلة بحلب .

اهتمت هذه الجماعة بالتربية الإسلامية الدقيقة ، وعנית بتنشئة الشباب فيها على القدوة العملية الصالحة ، في مجالات الحياة كافة .

كما عني رحمه الله تعالى بكتابة ونشر الكتب الإسلامية ذات الحجم الصغير ، وألف في ذلك سلسلة العقائد ، وسلسلة العبادات ، وسلسلة من هدي الإسلام ، حتى زادت مؤلفاته فيها على عشرين كتيباً . وقد لاقت مؤلفاته هذه قبولاً واسعاً في مختلف المستويات والبلدان نظراً لما تمتاز به من أسلوب سهل ميسر ، ومادة علمية نافعة .

توفي رحمه الله يوم الجمعة ١٧ ذي الحجة ١٣٩٥ هـ الموافق ١٩ كانون الأول ١٩٧٥ م ودفن في مقبرة الأعرابي في مدينة حلب ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وأقر عينه بالثواب الجزيل ، والأجر المستمر إن شاء الله إلى يوم الدين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً ، فكسونا العظام لحماً ، ثم أنشأناه خلقاً آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ ^(١) .

﴿ وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً ﴾ ^(٢) .

﴿ وكان الإنسان عجولاً ﴾ ^(٣) .

﴿ إن الإنسان خُلِقَ هَلُوعاً ، إذا مسَّه الشر جزوعاً ، وإذا مسَّه الخير منوعاً ، إلا المصلين ... ﴾ ^(٤) .

(٢) ٥٤ الكهف .

(٤) ١٩ - ٢٢ المعارج .

(١) ١٢ - ١٤ المؤمنون .

(٣) ١١ الإسراء .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله خلق الإنسان ، علّمه البيان .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، إنسان العين ، وعين الإنسان ، وعلى آله وأصحابه والتابعين ، وتابعيهم ، ومن تبعهم بإحسان .

وبعد ، فقد خلق الله تعالى الإنسان ، وفضله على سائر مخلوقاته ، بإرسال رسله ، وشرع شرائعه ، وجعله خليفة في الأرض ، فإذا تهذب بتهذيب الدين ، سما في معارج الكمال ، حق إن الله تعالى ليباهي به ملائكته المقربين ، وإذا فسق وفجر ، وطفى وكفر ، هوى إلى أسفل سافلين ، وانحطّ إلى مستوى الشياطين .

والإنسان عظيم النسيان كثير الغفلة ، وقد يوقظه التذكير من غفلته ، ويبعث فيه المهمة للعمل الصالح ، فما أحوجه إلى

تذكير دائم ، وإيقاظ دائم !

والقرآن الكريم أنزله الله تعالى ، ليكون هدىً للمؤمنين ،
ومنهاجاً للصالحين ، يتلونه حق تلاوته ، متدبرين خاشعين ،
فهو خير مذكر وأفضل واعظ .

فينبغي للإنسان العاقل ، إذا قرأ القرآن ، ومر به وصف
الإنسان ، أن يقف عنده طويلاً ، ويضرب إلى الله تعالى ،
ويسأله النجاة من الوصف الذميمة ، ويجاهد النفس على
تطهيرها منه ، ثم على التحلي بالخصال الكريمة ، والأخلاق
الفاضلة والكمال المنشود .

وقد تتبعت الآيات القرآنية الكريمة ، فجمعت ما يتعلق
منها بذكر الإنسان ، منذ بدء خلقه إلى يوم بعثه ، وما جُبل
عليه من طبائع ، ثم أخرجت ذلك رسالة ، تكون في يد كل
إنسان ، تذكّره بنعمة الله تعالى عليه ، ليديم ذكره وشكره ،
ولتكون له ذكرى واعظة ، كلما عرّج عليها ونظر فيها .

والله تعالى المسئول ، أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم ،
وينفع بها عباده ، إنه سميع مجيب .

في ٢٢ من ربيع الأول ١٣٩٢ و ٥ / ٥ / ١٩٧٢ .

أحمد عز الدين البيانوني

١ - أصل الإنسان وبدء خلقه

قال الله تعالى :

﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً
مذكوراً ؟ ﴾

إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه ،
فجعلناه سمياً بصيراً .

إنا هديناه السبيل ، إما شاكراً ، وإما كفوراً ﴿^(١)﴾ .

هل : بمعنى قد .

والإنسان هنا آدم عليه السلام .

- وحين من الدهر : أربعون سنة مرت به ، قبل أن ينفخ

فيه الروح .

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال :

(١) ١ - ٣ - الإنسان .

أقام من تراب أربعين سنة ، فتم خلقه بعد مئة وستين سنة ، ثم نفخ فيه الروح .

- لم يكن شيئاً مذكوراً : لا في السماء ولا في الأرض ، فلما نفخ فيه الروح صار مذكوراً ، وذلك لما عَرَفَ الله الملائكة أنه جعل آدم خليفته ، وحمله الأمانة - وهي التكليف الشرعية - التي عجز عنها السموات والأرض والجبال ، ظهر فضله على الكل .

وقال بعض المفسرين : إنما خُلِقَ الإنسان حديثاً ، ما نعلم من خليفة الله جل ثناؤه خليفة كانت بعد الإنسان .

- إنا خلقنا الإنسان من نطفة : أي ماء يقطر ، وهو المنى . وكل ماء قليل في وعاء فهو نطفة .

قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ، يوم حمل اللواء في مؤتة ، وترددت نفسه بين الإقدام والإحجام ، قال يعاتبها :

مالي أراك تكرهين الجنة هل أنتِ إلا نطفة في شنة ؟

أي في قرية .

- من نطفة أمشاج : أخلاط من ماء الرجل وماء المرأة .

- نبتليه : أي نختبره بالخير والشر . أو نختبر شكره في السراء ، وصبره على الضراء ، أو نكلفه بالعمل بعد الخلق ، وبالدين ليكون مأموراً بالطاعة ، ومنهياً عن المعاصي .

- فجعلناه سمعياً بصيرا : جعلنا له سمعاً يسمع به الهدى ، وبصراً يبصر به الهدى .

- إنا هديناه السبيل ، إما شاكراً وإما كفوراً : عرّفناه طريق الهدى والضلال ، والخير والشر ببعثة الرسل ، فأمن أو كفر .

وجمع بين الشاكر والكفور ، ولم يجمع بين الشكور والكفور ، مع اجتماعهما في معنى المبالغة ، نقياً للمبالغة في الشكر ، وإثباتاً لها في الكفر ، لأن شكر الله تعالى لا يؤدي ، فانتفت عنه المبالغة ، ولم تنتفِ عن الكفر المبالغة . فقلّ شكره لكثرة النعم ، وكثر كفره مع الإحسان إليه .

قال تعالى : ﴿ وقليلٌ من عبادي الشكور ﴾^(١) .

قال رجل للحسن البصري رحمه الله تعالى :

إن لي صديقاً لا يأكل الفالودج^(٢) .

قال : لِمَ ؟

قال : يزعم أنه عاجز عن أداء شكره .

قال الحسن : وهل يشرب الماء البارد ؟

قال : نعم .

قال : إن صاحبك هذا لجاهل ، إن نعمة الله عليه في الماء البارد ، أعظم من نعمته عليه في أكل الفالودج !

* * *

وقال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون ﴾^(٣) .

(١) ١٣ - سبأ .

(٢) هو نوع من الحلويات تشبه القطايف .

(٣) ٢٦ - الحجر .

- خلقنا الإنسان : يعني آدم عليه السلام .

- من صلصال : من طين يابس ، فإذا طُبِخ بالنار فهو الفخَّار .

- من حمأ مسنون : من طين أسود متغيّر .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : هو التراب المبتلّ المنتن ، فجعل صلصالاً كالفخار .

* * *

وقال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين .

ثم جعلناه نطفة في قرار مكين .

ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقاً آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين ﴿^(١) .

- السلالة : صفوة الماء .

- ثم جعلناه نطفة في قرار مكين : أي حريز ، وهو الرحم ، وسمي مكيناً لاستقرار النطفة فيه إلى وقت الولادة .

قال تعالى : ﴿ وَنَقَرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ... ﴾^(١) .

- ثم خلقنا النطفة علقة : أي صيّرنا النطفة قطعة دم جامد .

- فخلقنا العلقة مضغة : أي جعلنا الدم الجامد قطعة لحم صغيرة .

- فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، وذلك لأن اللحم يستر العظم ، فجعله كالكسوة .

- ثم أنشأناه خلقاً آخر : أي مبايناً للخلق الأول .

- فتبارك الله أحسن الخالقين : أتقن الصانعين .

* * *

- وقال تعالى : ﴿ وبدأ خلق الإنسان من طين .
- ثم جعل نسله ^(١) من سلالة ^(٢) من ماء مهين ^(٣) .
- ثم سواه ونفخ فيه من روحه ^(٤) .
- وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون ﴿ ^(٥) .

* * *

وقال تعالى :

- ﴿ خُلِقَ الإنسان من صلصال كالفخار ﴿ ^(٦) .
- يعني الطين المطبوخ بالنار ، وهو الخزف .

* * *

(١) أي ذريته .
 (٢) أي من نطفة تنسل من الإنسان .
 (٣) ضعيف .
 (٤) أي أضاف إليه الروح إضافة تشریف ، كما تقول : بيت الله ، وناقته الله .
 (٥) ٧- ﴿ السجدة .
 (٦) ١٤ - الرحمن .

اختلفت عبارات القرآن في الظاهر في صفة خلق الإنسان ،
 الذي هو آدم عليه السلام ، فقال تعالى : ﴿ من تراب ﴾ .
 وقال : ﴿ من حمأ مسنون ﴾ . وقال : ﴿ من طين
 لازب ﴾ . وقال : ﴿ من ماء مهين ﴾ . وقال : ﴿ من
 صلصال كالفخار ﴾ .

وليس في هذه العبارات اختلاف ، بل المعنى متفق ، وذلك
 أن الله تعالى خلقه أولاً من تراب متفرق الأجزاء ، ثم بَلَّ فصار
 طينا ، ثم ترك حتى انتن ، فصار حمأ مسنونا : وهو الطين
 الأسود المتغير اللون . فلما يبس صار صلصالاً كالفخار .

* * *

وقال تعالى : ﴿ إن كل نفس لما عليها حافظ ^(١) .

فليُنظر الإنسان ممّ خلق ؟

خُلِقَ من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب
 والترائب ﴿ ^(٢) .

(١) أي إلا عليها رقيب يحفظ أعمالها .

(٢) ٤ - ٧ - الطارق .

■ المراد به توجيه الإنسان بالنظر في أول خلقه ، حتى يعلم أن
 من آ-نشأه ، قادر على إعادته وجزائه ، فيعمل ليوم الإعادة
 والجزاء ، ولا يئلي على حافظه من الكرام الكاتبين ، إلا ما
 يسرّ في عاقبة أمره .



٢ - خُلِقَ الإنسان في تعب

قال الله تعالى :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾^(١) .

أي في شدة وعناء من مكابدة الدنيا .

يقال : كابدت هذا الأمر : أي قاسيت شدته .

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى : يكابد مصائب الدنيا ، وشدائد الآخرة .

وقال أيضاً : يكابد الشكر علي السراء ، ويكابد الصبر على الضراء ، لأنه لا يخلو من إحداها .

وقال العلماء : أول ما يكابد قطع سرته ، ثم إذا قُمَط قماطاً ، وشُدَّ رباطاً ، ثم يكابد الارتضاع ، ولو فاته لضاع ، ثم يكابد نبت أسنانه ، ثم الفطام ، ثم الحُتْان ، والأوجاع والأحزان . ثم يكابد مشقة التعليم والتأديب ، ثم هموم التزويج

(١) ٤ - البلد .

والأولاد ، ثم طلب حاجات الحياة ، ثم الكبر والهرم ، وضعف البدن ، في مصائب يكثر تعدادها ، من آلام وأسقام ، ثم الموت بعد ذلك كله ، ثم سؤال الملكين ، وضغطة القبر وظلمة القبر ، ثم البعث والعرض على الله ، إلى أن يستقر به القرار ، إما في الجنة ، وإما في النار .

ودل هذا على أن له خالقاً ، دبره وقضى عليه بهذه الأحوال ، فليتمثل أمره .

- ثم قال تعالى : ﴿ أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ؟ ﴾

أيظن ابن آدم أن لن يعاقبه الله عز وجل ؟

- يقول أهلك ما لا لبدا : أي أنفقت ما لا كثيراً .

- أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ؟ ﴿ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾

بل عَلِمَ الله عز وجل ما أنفق ، وعلم أنه لم يُرِدْ به وجه الله تعالى ، بل أنفقه رياء .

ففي الحديث الشريف :

يوقف العبد - أي يوم القيامة - فيقال : ماذا عملت في

المال الذي رزقتك ؟

فيقول : أنفقته وزكيتـه .

فيقال : كأنك إنما فعلت ذلك ليقال : سخي . فقد قيل ذلك ، ويؤمر به إلى النار .

- ثم قال تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ .

يعني الطريقين : طريق الخير وطريق الشر . أي بينّاهما له بما أرسلناه من الرسل .

- فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة ؟

أي فهل أنفق ماله في مرضاة الله عز وجل .

ثم فسّر العقبة وركوبها فقال :

- فك رقبـة ، وكذا وكذا ... فبيّن وجوهاً من القرب

المالية .

فاقتحام العقبة هنا ضرب مثل : أي هل تحمّل عظام

الأمر ، في إنفاق ماله في طاعة ربه والإيمان به ؟

قال الحسن رحمه الله تعالى : هي والله عقبة شديدة :
مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان .

وأنشد بعضهم :

إني بُليت بأربع يرميني بالنبل قد نصبوا عليّ شراكا:
إبليس والدينا ونفسي والهوى من أين أرجو بينهم فككا ؟
يارب ساعدني بعفو إنني أصبحت لا أرجو لهن سواكا

- وما أدراك ما العقبة ؟ فك رقبة ، أو إطعام في
يوم ذي مسغبة^(١) يتيماً ذا مقربة ، أو مسكيناً ذا
مُثربة^(٢) .

في الحديث الشريف : من موجبات الجنة ، إطعام المسلم
السَّغْبَان - أي الجائع -^(٣) .

« أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » وأشار بالسبابة
والوسطى وفرّج بينهما^(٤) .

وكافل اليتيم : القائم بأموره .

(١) أي عزيز فيه الطعام .

(٢) أي فقر .

(٣) رواه البيهقي .

(٤) رواه البخاري .

- ثم كان من الذين آمنوا ...

يعني أنه لا يقتحم العقبة مَنْ فكَّ رقبة ، أو أطعم في يوم
ذا مسغبة ، حتى يكون من الذين آمنوا ، أي صدّقوا . فإن
شرط قبول الطاعات الإيمان بالله تعالى .

قالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله ، إن ابن
جُدعان ، كان في الجاهلية يصل الرحم ، ويطعم الطعام ،
ويفكّ العاني - يعني الأسير - ويعتق الرقاب ، ويحمل على إبله
لله ... فهل ينفعه ذلك شيئاً ؟

قال : لا ، إنه لم يقل يوماً : رب اغفر لي خطيئتي يوم
الدين^(١) .

أي فلو كان آمن بالله بعد ذلك لنفعه ذلك كله .

وقال حكيم بن حزام رضي الله عنه بعدما أسلم :

يا رسول الله : إنا كنا نتحنّث بأعمال في الجاهلية - أي
نتقرب بها إلى الله - فهل لنا منها شيء ؟

(١) رواه مسلم .

فقال رسول الله ﷺ : أسأمتَ على ما أسلفت من الخير^(١) .

- وتواصوا بالصبر : أي أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله ، والصبر عن معاصيه ، وعلى ما يصيبهم من البلاء والمصائب .

- وتواصوا بالمرحمة : أي برحمة الخلق .

فإن الله تعالى هو الرحمن الرحيم ، ويجب من عباده الرحاء ، وقد أرسل نبيه محمداً ﷺ رحمة . فقال :

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾^(٢) .

﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾^(٣) .

وفي الحديث الشريف :

« ارحم من في الأرض ، يرحمك من في السماء »^(٤) .

(٢) ١٢٨ - التوبة .

(١) رواه مسلم .

(٤) رواه الطبراني .

(٣) ١٠٧ - الأنبياء .

- أولئك أصحاب المينة : أي الذين يؤتَوْنَ كتبهم
بإيمانهم ، وهذا علامة السعادة .

- والذين كفروا بآياتنا^(١) هم أصحاب المشأمة : أي
يأخذون كتبهم بشمائلهم . وهذا علامة الشقاوة .

- عليهم نار مؤصدة ﴿ : أي مطبقة مغلقة .



(١) أي بالقرآن .

٣ - عداوة الشيطان للإنسان

بدأت عداوته للإنسان الأول .

- قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ، فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى .

فقلنا : يا آدَمَ ، إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ ، فَلَا يَخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ ^(١) .

- ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ ^(٢) .

- ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ ^(٣) .

- ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ : إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ ، وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ، وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ، إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ، فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَمُوا أَنْفُسَكُمْ ، مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ^(٤) وَمَا أَنْتُمْ

(٢) ٢٩ - الفرقان .

(٤) أي مغيثكم .

(١) ١١٧ - طه .

(٣) ٥ - يوسف .

بصرخي" ، إني كفرت بما أشركتمون من قبل ، إن
الظالمين لهم عذاب أليم ﴿^(١)﴾ .

قال الحسن : يقف إبليس يوم القيامة خطيباً في جهنم ،
يسمعه الخلائق جميعاً ، فيقول : ﴿ إن الله وعدكم وعد
الحق ... ﴾ .

* * *

وقال تعالى في بيان عداوة الشيطان للإنسان ، وفي تحذير
الإنسان منه :

﴿ إن الشيطان لكم عدو ، فاتخذوه عدوا ... ﴾ ^(٢) .
﴿ الشيطان يعدكم الفقر ، ويأمركم بالفحشاء ... ﴾ ^(٣) .
﴿ ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ﴾ ^(٤) .
﴿ ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله ، فقد
خسر خسراً مبيناً .

(٢) ٦ - فاطر .

(١) ٢٢ - إبراهيم .

(٥) ٦٠ - النساء .

(٣) ٢٦٨ - البقرة .

سُدِّهِمْ وَيَمْنِيهِمْ ، وَمَا يَعْدُهُم الشَّيْطَانُ إِلَّا
 ﴿١﴾ . ■

وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا
 يَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ . ■

كَتَلَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ : اكْفُر .
 مَا كَفَرَ قَالَ : إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ
 . ■

كَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ، وَذَلِكَ
 الظَّالِمِينَ ﴿٣﴾ . ■

هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودِ فِي تَخَاذُلِهِمْ ،
 لَوْفَاءُ فِي نَصْرَتِهِمْ .

يَسَّ قَوْلَ الشَّيْطَانِ : ﴿ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ... ﴾ حَقِيقَةً .

١ و ١٢٠ - النساء . (٢) ٤٣ - الأنعام .

و ١٧ - الحشر .

إنما هو على وجه التبرؤ من الإنسان ، فهو تأكيد لقوله :
﴿ إني بريء منك ﴾ .



٤ - لا يخفى على الله من الإنسان شيء

قال الله تعالى :

- ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾^(١) .

والوسوسة : حديث النفس بمنزلة الكلام الخفي .

فالله تعالى يعلم ما يختلج في سر الإنسان وقلبه وضميره ، وكفى بهذا زاجراً له عن المعاصي وإن استخف بها .

- ونحن أقرب إليه من حبل الوريد : هو الوريد عن يمين وشمال من ناحية الحلق إلى العاتق .

وهذا القرب قرب العلم والقدرة . فالله تعالى يعلم السر وأخفى ، وهو على كل شيء قدير .

- ﴿ إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ﴾^(٢) .

أي نحن أقرب إليه من جبل وريده حين يتلقى المتلقيان
 وهما الملكان الموكلان به ، أي نحن أعلم بأحواله ، فلا نحتاج إلى
 ملك يخبر ، ولكنها وكلا به إلزاماً للحجة ، وتوكيداً للأمر
 عليه .

قال المفسرون : ملكان يتلقيان عملك ، أحدهما عن يمينك
 يكتب حسناتك ، والآخر عن شمالك يكتب سيئاتك .

قال الحسن : حتى إذا مت ، طُويت صحيفة عملك ،
 وقيل لك يوم القيامة : ﴿ اقرأ كتابك ﴾ ، كفى بنفسك
 اليوم عليك حسيباً ﴿^(١)﴾ .

قال الحسن : عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك .

- قال تعالى : ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب
 عتيد ﴾ ﴿^(٢)﴾ .

أي ما يلفظ الإنسان من شيء إلا كُتب عليه .

والرقيب : الشاهد المراقب .

والعتيد : الحاضر الذي لا يغيب .

وفي الحديث الشريف : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل ،
وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم
يُخرج بالذين باتوا فيكم ، فيسألهم ربهم - وهو أعلم بهم - :-

كيف تركتم عبادي ؟

فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم
يصلون » (١) .

قال سفيان الثوري : بلغني أن كاتب الحسنات ، أمين على
كاتب السيئات ، فإذا أذنّب العبد قال : لا تعجل ، لعله
يستغفر الله .



(١) رواه البخاري .

٥ - الإنسان مرهون بعمله

قال الله تعالى :

- ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ : أي
يلازمه ملازمة القلادة للعنق .

قرأ بعض السلف هذه الآية ثم قال :

هما نشرتان وطية ، أما ما حييت يا بن آدم ، فصحيفتك
منشورة ، فأمل فيها ما شئت ، فإذا مت طويت ، حتى إذا
بُعِثت نُشِرت .

- ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ
حَسِيبًا﴾^(١) .

قال الحسن : يقرأ الإنسان كتابه ، أمياً كان أو غير أمي .

وقال تعالى : ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾^(٢) .

- ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾^(١) .

﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، لها ما كسبت
وعليها ما اكتسبت ﴾^(٢) .

﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما
عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ،
ويحذركم الله نفسه ، والله رءوف بالعباد ﴾^(٣) .

☆ ☆ ☆

(١) ٣٨ - المدثر . (٢) ٢٨٦ - البقرة .

(٣) ٣٠ - آل عمران .

٦ - من طبيعة الإنسان الضعف

قال الله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴾^(١) .

أي أن هواه يستميله ، وشهوته وغضبه يستخفّانه ، وهذا
مد الضعف .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ، ثُمَّ جَعَلَ
مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا
ثَيِّبَةً ، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾^(٢) .

ذكر الله تعالى ذلك استدلالاً على قدرته في نفس الإنسان
معتبر الإنسان .

- خلقكم من ضعف : وهو ما كانوا عليه في الابتداء من
طفولة والصغر .

- ثم جعل من بعد ضعف قوة : هي قوة الشباب .

(٢) ٥٤ - الروم .

٢٨ - النساء .

- ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة : يعني الهرم .

قال بعضهم :

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب

وقال آخر :

أترجو أن تكون وأنت شيخ

كما قد كنت في زمن الشبابِ؟!

ورأى شاب شيخاً قد تقوس ظهره فقال له مداعباً :

بكم اشتريت هذا القوس يا عم ؟

فقال له الشيخ : سيأتيك مجاناً يا بن أخي .

- وقد تعوَّذ النبي ﷺ من الهرم ، فقال :

اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن
والهرم ...^(١)

اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والبخل والهرم ،

(١) رواه مسلم .

وعذاب القبر^(١) .

اللهم إني أعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من أن
أُرد إلى أرذل العمر ..^(٢)

وأرذل العمر أخسه ، وهو الهرم .

وفي الحديث الشريف : بادروا بالأعمال سبعا :

هل تنتظرون إلا فقراً منسيا ، أو غنىً مُطغيا ، أو مرضاً
مُفسدا ، أو هرمًا مُفئدا - أي موقعاً في الفند ، وهو الكلام
المُخرّف - أو موتاً مُجهزاً - أي سريعاً - أو الدجال ، فشر غائب
يُنْتَظَر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر^(٣) .

اغتنم خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك
قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ،
وغناك قبل فقرك^(٤) .

هذا ، وقد قضت حكمة الله تبارك وتعالى ، أن يرَدَّ

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخاري .

(٣) رواه الترمذي .

(٤) رواه أحمد وغيره .

الإنسان من بعد قوة الشباب إلى ضعف الشيخوخة والهزم ،
ليذكر هذا الإنسان الضعيف في حالة ضعفه ربه القوي القادر ،
فيلجأ إليه ، ويقبل بقلبه عليه ، وليدعوه ضارعاً : يارب !
يارب !.. وذلك من أبرز مظاهر العبودية لله عز وجل .

ثم ليزهد في هذه الدنيا ، دار التعب والنصب والوَصَب ،
ويشتاق إلى الآخرة دار النعيم المقيم .

فلله ما أكرم الله ، وما أرحمه بعباده ، وما أرفاههم !

ولقد راعى الله تعالى ضعف الإنسان ، فلم يشترع له من
العبادات إلا ما فيه اليسر ، ولم يكلفهم إلا ما يطيقون ، وذلك
إحسان منه سبحانه إلى الإنسان ، وتفضل عليه ، وقد امتنَّ
على هذه الأمة في قوله سبحانه :

﴿ يريد الله بكم اليسر، ولا يريد بكم العسر... ﴾ (١) .

﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ... ﴾^(١) .
 ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ... ﴾^(٢) .



٧ - من طبيعة الإنسان العجلة

- قال الله تعالى : ﴿ وَيَذْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾^(١) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : هو دعاء الرجل على نفسه وولده عند الضرر ، بما لا يحب أن يستجاب له : اللهم أهلكه ، ونحوه .

أي يدعو بالشر كدعائه بالخير ، كطلب العافية .

- وكان الإنسان عجولا : أي طبعه العجلة .

* * *

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ ، لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ ... ﴾^(٢) .

أي لو عجل الله للناس العقوبة ، كما يستعجلون الثواب ، لأهلكهم .

قال النضر بن الحارث وهو أحد المشركين :

﴿ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ، فأمطر
علينا حجارة من السماء ، أو آتنا بعذاب أليم ﴾ .
فلو عجل لهم هذا لهلكوا .

فآية نزلت دامة لخلق ذميم هو في بعض الناس ، يدعون
الله تعالى في الخير ، فيريدون تعجيل الإجابة ، ثم يحملهم أحياناً
سوء الخلق على الدعاء في الشر ، فلو عجل لهم لهلكوا .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال :

سرنا مع رسول الله ﷺ ، في غزوة بطن بواط ، - جبل
قريب من المدينة عند ينبع - وهو يطلب المجدي بن عمرو
الجهني ، وكان الناضح - يعني الجمل - يعتقبه منا الخمسة والستة
والسبعة ، فدارت عقبة رجل من الأنصار على ناضح له ،
فأناخه فركب ، ثم بعثه ، فلدن عليه بعض التلدن - أي تلكأ
وتوقف ولم ينبعث -

فقال له : شأ لعنك الله .

فقال رسول الله ﷺ : من هذا اللاعن بعيره ؟

قال : أنا يا رسول الله .

قال : انزل عنه ، فلا تصحبنا بملعون ، لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاءً ، فيستجيب لكم^(١) .

* * *

وقال تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ، سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾^(٢) .

خُلِقَ من عجل ؟ أي رُكِّبَ على العجلة ، فخلق عجولا ، فطبعه العجلة .

سأريكم آياتي : هذا مما يدل على صدق النبي ﷺ من المعجزات ، وما جعله له من العاقبة المحمودة .

أو سأريكم ما تستعجلون به من طلب العذاب .

(٢) ٣٧ - الأنبياء .

(١) رواه مسلم .

مذمة العجلة :

والعجلة هي المعنى المتكرر خطوره دائماً على القلب ،
الباعث على تحصيل المرام بسرعة ، وعلى الإقدام على الشيء
بأول خاطر ، دون تأمل واستطلاع نظر بالغ ، أو الباعث على
الإتمام بدون توفية كل جزء حقه .

وقد عدّها العلماء من الآفات والعيوب .

و ضد العجلة الأناة :

قال الله تعالى : ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن
يُنْزِلَ إِلَيْكَ وَحْيِهِ ، وقل : رب زدني علماً ﴾^(١) .

وفي الحديث الشريف : السَّمت الحسن - أي حسن الهيئة -
والتؤدة والاقتصاد - أي التوسط في الأمور - جزء من أربعة
وعشرين جزءاً من النبوة^(٢) .

(٢) رواه الترمذي .

(١) ١١٤ - طه .

من آفات العجلة :

- ومن آفات العجلة : فوات المطلوب لخلل في مقدماته بسبب العجلة .

ففي الحديث الشريف : « ... إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى »^(١) .

والمنبت : هو المنقطع في سفره بسبب العجلة ، وتحمله فرسه من الإسراع ما لا يطيق الاستمرار عليه .

- ومن آفات العجلة : إيقاع العبادة الموقته قبل دخول وقتها :

كالأذان قبل تحقق دخول الوقت .

وكالإحرام بصلاة السنة قبل انتهاء الأذان ، المفوت للإتيان بالصلاة على النبي ﷺ ، والدعاء المأثور عقب الأذان .

وكالقيام لصلاة الفرض قبل أوان القيام ، وأوانه عند السادة

كالـ

(١) رواه البزار .

الخفية عند قول المقيم : قد قامت الصلاة ، وعند السادة الشافعية ، بعد تمام الإقامة .

وإحرام الإمام قبل تسوية الصفوف عند من يراه .

وكتكبير المقتدي للإحرام ، قبل انتهاء تكبيرة إمامه .

وترك السكتات المطلوبة في الصلاة عند من يراها ، وهي سنة عند السادة الشافعية :

سكتة بين تكبيرة الإحرام ودعاء الافتتاح .

وسكتة بين دعاء الافتتاح وبين التعوذ .

وسكتة بين التعوذ وبين الفاتحة .

وسكتة بين الفاتحة وبين « آمين » .

وسكتة بين « آمين » وبين السورة .

وسكتة بين السورة وبين الركوع .

- ومن العجالة المذمومة سمي المسبوق ليدرك الركوع مع

الإحرام ، ظن أنه أدركه ، مع أنه لم يدركه ، فلا تصح

صلاته بسبب وقوع تكبيرة الإحرام في غير حالة القيام ، أو
عدم إدراك الركوع المفوّت للركعة .

وترك الوقوف على رءوس الآي في الفاتحة عند من يراه .
والإسراع في قراءة الفاتحة ، المفوّت لبعض الحروف ، أو
الشذات ، المفسد للصلاة عند من يراه .

وتقصير القراءة بعد الفاتحة عن المقدار الوارد المسنون في كل
صلاة .

فإن نقصت القراءة عن المقدار الواجب - وهو سورة قصيرة
أو ثلاث آيات قصار - فقد ترك واجباً ، وهو مكروه تحريماً
عند من يراه .

وإن نقصت عن المقدار المسنون ، فقد ترك سنة .
وإسبال اليدين قبل الهوي للركوع عند من يرى عقدهما .
ورفع اليدين لتكبير الركوع قبل وقته عند من يراه .
وترك الطمأنينة في الركوع ، فإنه مبطل للصلاة ، عند
الشافعية ، ومكروه تحريماً عند الحنفية .

ونقص تسبيحات الركوع عن المقدار الوارد فيها ، أو إخراجها عن محلها ، وإيقاعها في حالة الهويّ أو الاعتدال .

وترك الاعتدال ، فإنه مبطل للصلاة عند الشافعية .

وترك الطمأنينة في الاعتدال ، فإنه مبطل عندهم أيضاً .

وترك التحميد المأثور في الاعتدال .

ومقارنة المقتدي لإمامه في الركوع والسجود ، فإنها مفوتة لفضيلة الجماعة عند الشافعية .

ونقص تسبيحات السجود ، أو إخراجها عن محلها .

وترك الطمأنينة بين السجدين ، فإنه مبطل عند الشافعية .

وترك الدعاء الوارد بين السجدين .

وإخراج تكبيرات الانتقالات عن محالها .

ومسابقة المقتدي لإمامه في أفعال الصلاة .

ففي الحديث الشريف : « أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه

من ركوع أو سجود قبل الإمام ، أن يجعل الله رأسه رأس حمار ، أو يجعل صورته صورة حمار ؟ « (١) .

ومن العجلة المذمومة البدء بقراءة الفاتحة في الركعة الثانية قبل الوصول إلى حد القيام ، وكذا إيقاع بعضها في حد الركوع .

فإن صحة الفاتحة مشروطة بإيقاعها جميعها في حد القيام عند الشافعية .

والإسراع في قراءة التشهد الموجب لإسقاط بعض حروفه .
وترك الصلاة على النبي ﷺ عقب التشهد عند من يرى فرضيتها أو سنيتها ، والاختصار فيها عن إكمال الإبراهيمية المسنونة .

وترك ذكر السيادة عند ذكر الاسمين الكريمين .

وترك الدعاء المأثور قبل السلام من الصلاة .

(١) رواه البخاري ومسلم .

ومقارنة المقتدي في السلام لإمامه عند من لا يراها .
ففي الحديث الشريف : أسوأ الناس سرقة ، الذي يسرق
من صلاته ؟

قالوا : يا رسول الله ، كيف يسرق من صلاته ؟!

قال : لا يتم ركوعها ولا سجودها^(١) .

وعن أبي هريرة ؛ أن رسول الله ﷺ دخل المسجد ، فدخل
رجل فصلى ، ثم جاء فسلم على رسول الله ﷺ .

فَرَدَّ رسول الله ﷺ السلام ، قال : « ارجع فَصَلِّ » ، فإنك لم
تُصَلِّ « فرجع الرجل فصلى كما كان صلى ، ثم جاء إلى النبي ﷺ
فسلم عليه . فقال رسول الله ﷺ : « وعليك السلام » ثم قال :
« ارجع فَصَلِّ » ، فإنك لم تُصَلِّ » حتى فعل ذلك ثلاث مرات .

فقال الرجل : والذي بعثك بالحق ! ما أحسن غير هذا ،
عَلَّمَنِي .

(١) رواه أحمد وغيره .

قال : إذا قمت إلى الصلاة فكبر ، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راکعاً ، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها ^(١) .

وفي رواية : « إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ، ثم استقبل القبلة فكبر » .

- ومن العجلة المذمومة : ترك الدعاء المأثور بعد السلام .

وترك الصلوات المسنونة ، أو الاقتصار على بعضها .

والإسراع في تلاوة القرآن ، المؤدي إلى تضييع بعض الحروف أو صفاتها .

والإسراع في رد الجواب قبل فهم السؤال .

والإسراع في المشي الناشئ عن طيش وخفة .

والإسراع في سوق دراجة أو سيارة ، وكمن أعقبت العجلة من

(١) رواه البخاري ومسلم ، واللفظ لمسلم .

حوادث مؤلمة وندامة !

والأناة غير التسوييف :

ولا تظنن أن الأناة بمعنى التأخير والتسوييف ، بل
التسوييف مذموم جداً في عمل الخير .

و ضد التسوييف : المسارعة والمبادرة والمساابقة ، وهذه
فضائل حميدة .

قال الله تعالى : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ
رَبِّكُمْ ... ﴾ ^(١) .

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٢) .

وقال تعالى في معرض الثناء :

﴿ وَيَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ، وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ^(٣) .
﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ، وَيَدْعُونَنَا

(٢) ١٣٣ - آل عمران .

(١) ٢١ - الحديد .

(٣) ١١٤ - آل عمران .

رَغَبًا وَرَهَبًا ... ﴿١﴾ .

وفي الحديث الشريف :

« بادروا بالأعمال - يعني الصالحة - فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا » (٢) .

بادروا بالأعمال سبعا : هذا تنتظرون إلا فقراً منسياً ، أو غنىً مطغياً ، أو مرضاً مفسداً ، أو هرمًا مفئداً - أي موقعاً في الفند ، وهو كلام المخرف - أو موتاً مجهزاً - أي سريعاً - أو الدجال - فشر غائب ينتظر ، أو الساعة ، فالساعة أدهى وأمر (٣) .

العجلة فضيلة في أمور :

وتطلب العجلة في أمور ، منها :

- أداء العبادة إذا حان وقتها ، كالصلوات الخمس ،

(١) ٩٠ - الأنبياء .

(٢) رواه أحمد ومسلم .

(٣) رواه الترمذي .

ورواتبها ، وقضاء الفوائت منها ومن الصيام ، وإيتاء الزكاة ، وأداء فريضة الحج عند الاستطاعة .

- ومنها تعجيل تزويج البنت إذا بلغت ، وطلبها الكفء ، بلا التفات إلى كثرة مهر ، فإن من ين المرأة خفة مهرها .

ففي الحديث الشريف : « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد »^(١) .

- ومنها تعجيل وفاء الدين المطلق ، والمؤجل إذا حلّ أجله ، فإن في تأخيره خطر هجوم الموت ، فتبقى ذمة المدين مشغولة ، وروحه محبوسة في البرزخ بدينه .

- ومنها تعجيل تجهيز الميت ، ففي التعجيل إكرامه ، وفي تأخيره ربما يقبح منظره ، أو يظهر نتنه .

- ومنها تعجيل قرى الضيف ، فإنه ربما يكون جائعاً ، ويستحي أن يقول ، وربما كان مضطراً إلى سرعة الذهاب .

- ومنها تعجيل التوبة خشية هجوم الموت ، فيندم حيث لا

(١) رواه الترمذي .

ينفعه الندم .

- وكذلك يطلب الإسراع في عمل كل خير .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال :

خطبنا رسول الله ﷺ فقال :

يا أيها الناس ! توبوا إلى الله قبل أن تموتوا ، وبادروا
بالأعمال قبل أن تُسفلوا ، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم^(١) بكثرة
ذكركم له تسعدوا ، وأكثروا الصدقة في السر والعلانية تُرزقوا
وتُنصروا وتُجبروا^(٢) .

☆ ☆ ☆

(١) وهو عهد الربوبية ، وذلك أنه لكم رب ، وأنتم له عبيد .

(٢) رواه ابن ماجه .

٨ - ومن طبيعة الإنسان الجدل

قال الله تعالى : ﴿ وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً ﴾^(١) .

أي جدالاً ومجادلة .

وقال تعالى : ﴿ ويجادل الذين كفروا بالباطل ... ﴾^(٢) .

وفي الحديث الشريف : يؤتى بالرجل يوم القيامة من الكفار ، فيقول الله له :

ما صنعتَ فيما أرسلتُ إليك ؟

فيقول : رب آمنت بك ، وصدقت برسلك ، وعملت بكتابك .

فيقول الله له : هذه صحيفتك ، ليس فيها شيء من ذلك !

(٢) ٥٦ - الكهف .

(١) ٥٤ - الكهف .

فيقول : يارب إني لا أقبل ما في هذه الصحيفة .

فيقال له : هذه الملائكة الحفظة ، يشهدون عليك .

فيقول : ولا أقبلهم يارب ، وكيف أقبلهم ، ولا هم من عندي ، ولا من جهتي ؟!

فيقول الله تعالى : هذا اللوح المحفوظ أمّ الكتاب ، قد شهد بذلك .

فيقول : يارب ألم تُجرني من الظلم ؟

قال : بلى .

فقال : يارب لا أقبل إلا شاهداً عليّ من نفسي .

فيقول الله تعالى : الآن نبعث عليك شاهداً من نفسك .

فيتفكر مَنْ ذا الذي يشهد عليه من نفسه ؟!

فِيخْتَم على فيه ، ثم تنطق جوارحه بالشرك ، ثم يُخَلَّى بينه وبين الكلام ، فيدخل النار ، وإن بعضه ليلعن بعضاً . يقول لأعضائه : لعنكنَّ الله ، فعنكنَّ كنت أناضل . فتقول أعضاؤه :

لعنك الله ، أفتعلم أن الله تعالى يُكْتَم حديثاً ؟
 فذلك قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شَيْءٍ
 جَدلاً ﴾ ^(١) .

* * *

وما أكثر جدل الإنسان في الدنيا !
 قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ
 عِلْمٍ ... ﴾ ^(٢) .

﴿ إِنَ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِيَّاءُ أَوْلِيَائِهِمْ
 لِيَجَادِلُوهُمْ ... ﴾ ^(٣) .

﴿ يَجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ ... ﴾ ^(٤) .
 أما الجدل لإظهار حق ، ففضيلة .

قال الله تعالى : ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... ﴾ ^(٥) .

(٢) ٣ - الحج .

(٤) ٦ - الأنفال .

رواه البخاري

(١) رواه مسلم .

(٣) ١٢١ - الأنعام .

(٥) ١٢٥ - النحل .

وفي معنى الجدال المذموم المرء :

وهو طعن الإنسان في كلام غيره ، بإظهار خلل فيه ، لا
لإظهار حق .

ففي الحديث الشريف : « من ترك المرء وهو مبطل ، بُني
له بيت في رَبَضِ الجنة - أي حولها - ومن تركه وهو محقّ ، بُني
له في وسطها ، ومن حَسَنَ خلقه بُني له أعلاها » (١) .



٩ - ومن طبيعة الإنسان

الفرح بالنعمة ، واليأس عند زوالها ، ونسيان الرحمة

قال الله تعالى :

﴿ لا يسأم الإنسان من دعاء الخير ، وإن مسّه الشر ، فيئوس قنوط .

ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ، ليقولنّ : هذا لي ، وما أظن الساعة قائمة ، ولئن رُجعت إلى ربّي إن لي عنده للحسنى . فلننبئنّ الذين كفروا بما عملوا ، ولنذيقنّهم من عذاب غليظ .

وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ، وإذا مسّه الشر فذو دعاء عريض ﴿^(١) .

- لا يسأم الإنسان من دعاء الخير : أي لا يمل من دعائه بالخير .

والخير هنا : المال والصحة والسلطان والعز .

- وإن مسه الشر - الفقر والمرض - فيئوس من زوال ما به
من المكروه ، قنوط من رحمة الله ، يظن أن المكروه يدوم .

- ولئن أذقناه رحمة منا : أي عافية ورخاء وغنى .

- من بعد ضراء مسته : أي ضرّ وسقم وشدة وفقر .

- ليقولن هذا لي : أي هذا شيء أستحقه على الله لرضاه
بعملي ، فيرى النعمة حتماً واجباً على الله تعالى ، ولم يعلم أنه
ابتلاه بالنعمة والمحنة ، ليتبين شكره وصبره .

- يقول : وما أظن الساعة قائمة : أي يكفر بها .

- يقول : ولئن رُجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى : يعني
الجنة ، فيتمنى الأمانى بلا عمل .

قال بعض السلف : للكافر أمنيّتان :

أما في الدنيا فيقول : ﴿ لئن رجعت إلى ربي إن لي
عنده للحسنى ﴾ .

وأما في الآخرة فيقول : ﴿ يا ليتنا نردّ ولا نكذب
 بآيات ربنا ، ونكون من المؤمنين ﴾ .
 و« يا ليتني كنت ترابا » .

- وقال تعالى : ﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض
 ونأى بجانبه ﴾ : أي ترفع عن الانقياد إلى الحق ، وتكبر على
 أنبياء الله .

- وإذا مسه الشر - يعني أصابه مكروه - فذودعاء
 عريض - أي كثير - والعرب تستعمل الطول والعرض في
 الكثرة .

تقول : عاتبته عتاباً طويلاً عريضا : أي كثيرا .
 فالكافر يعرف ربه في البلاء ، ولا يعرفه في الرخاء .
 لهذا جاء في وصية النبي ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس
 رضي الله عنهما :

تعرف إلى الله في الرخاء ، يعرفك في الشدة ...
 قال رجل لأبي الدرداء رضي الله عنه : أوصني .

فقال : اذكر الله في السراء ، يذكرك في الضراء ، فإن العبد ، إذا ذكر الله في السراء ، فنزلت به ضراء ، فدعا الله عز وجل ، قالت الملائكة : صوت معروف ، فشفعوا له ، وإذا كان ليس بدعاء في السراء ، فنزلت به ضراء ، فدعا الله عز وجل : قالت الملائكة : صوت ليس بمرعوف ، فلا يشفعون له .

- وقال تعالى : ﴿ ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ^(١) ثم نزعناها منه ^(٢) إنه ليئوس قنوط .

ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولنّ : ذهب السيئات عني ^(٣) إنه لفرح فخور ﴿ أي يفرح ويفخر بما ناله من السعة وينسى شكر الله عليه .

- قال تعالى : ﴿ إلا الذين صبروا : مدحهم بالصبر على الشدائد .

أولئك لهم مغفرة وأجر كبير ﴿ ^(٤) .

* * *

(١) أي نعمة .

(٢) أي سلبناه إياها .

(٣) يعني الأمور التي تسوء صاحبها .

(٤) ٩ - ١١ - هود .

- وقال تعالى :

﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ ، وَنَأَى بِجَانِبِهِ ،
وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا : أي إذا ناله شدة من فقر أو
يؤس ، يئس وقنط ، لأنه لا يثق بفضل الله تعالى .

- قل : كلّ يعمل على شاكلته : أي على طريقته
ومذهبه الذي جُبِلَ عليه .

- فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً ﴿^(١) .

وهذا ذم للكافر ، ومدح للمؤمن .

* * *

وقال تعالى :

﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ ،
فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ، وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ
رِزْقَهُ ، فَيَقُولُ : رَبِّي أَهَانَنِ ﴿^(٢) .

(٢) ١٥ ، ١٦ - الفجر .

(١) ٨٣ - ٨٤ - الإسراء .

إذا ابتلاه ربه فاخبره بالنعمة ، فرح بذلك ولا يحمده ،
وإذا امتحنه بالفقر واختبره ، رأى ذلك هوانا .

وهذه صفة من لا يؤمن بالآخرة ، فإن الكرامة عنده
والهوان ، بكثرة الحظ في الدنيا وقلته .

أما المؤمن ، فالكرامة عنده ، أن يكرمه الله بطاعته ،
وتوفيقه المؤدي إلى حظ الآخرة ، وإن وسّع عليه في الدنيا
حمده وشكره .

وفي كثير من المسلمين هذا الوصف الذميم : يظن أن ما
أعطاه الله من النعمة ، لكرامته وفضيلته عند الله ، وربما يقول
بجهله : لو لم أستحق هذا لم يعطنيه الله ، وإن قترّ عليه ظن
أن ذلك لهوانه عليه .

لهذا ، ردّ الله عليهم فقال : كلا . أي ليس الأمر كما يظن
الإنسان ، فليس الغنى لفضله ، ولا الفقر لهوانه ، وإنما الفقر
والغنى من تقديره وقضائه .

قال الله تعالى :

﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ،
ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ، ليتخذ بعضهم
بعضاً سخرياً ... ﴾^(١) .

وفي الحديث الشريف ، يقول الله عز وجل :

« إن من عبادي من لا يُصلح إيمانه إلا الغنى ، ولو أفقرته ،
لأفسده ذلك .

وإن من عبادي من لا يُصلح إيمانه إلا الفقر ، ولو أغنيته
لأفسده ذلك .

وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الصحة ، ولو
أنقمته لأفسده ذلك .

وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا السقم ، ولو
أصححته لأفسده ذلك .

وإن من عبادي من يطلب باباً من أبواب العبادة ، فأكفّه

عنه ، كي لا يدخله العجب ، إني أدبّر عبادي بعلمي بما في قلوبهم ، إني عليم خبير»^(١) .



(١) رواه الطبراني .

١٠ - ومن طبيعة الإنسان :

الهلع والجزع والحرص والطمع والمنع

قال الله تعالى : ﴿ إِنِ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ، إِلَّا الْمُسْلِمِينَ ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ، وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ، لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ، وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۖ ﴾ ^(١) .

- إن الإنسان خُلِقَ هَلُوعًا : أي موصوفاً بالهلع ، وهو أشد الحرص وأسوأ الجزع وأفحشه .

والمعنى : أنه لا يصبر على خير ولا شر ، حتى يفعل فيهما ما لا ينبغي ، ولهذا أمر الله تعالى بالصبر ، فقال :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا ... ﴾ ^(٢) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ،

(١) ١٩ - ٢٦ - المعارج . (٢) ٢٠٠ - آل عمران .

إن الله مع الصابرين ﴿١﴾ .

وذكر الصبر في القرآن الكريم أكثر من ثمانين مرة ، وأثنى الله على الصابرين فقال :

﴿ إِنَّمَا يُؤَفِّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢) .

وفي الحديث الشريف :

« ما يصيب المسلم من نَصَب - أي تعب - ولا وَصَب - أي مرض - ، ولا هَمٍّ ولا حَزَنٍ ، ولا أَذًى ولا غَمٍّ ، حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفر الله بها من خطاياها » (٣) .

عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن : إن أصابته سراء - أي ما يسره - شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء - أي ما يضره - صبر فكان خيراً له (٤) .

« إذا أراد الله بعبد الخير ، عجل له العقوبة في الدنيا ،

(٢) ١٠ - الزمر .

(١) ١٥٣ - البقرة .

(٤) رواه مسلم .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

وإذا أراد الله بعبد الشر ، أمسك عنه بذنبه ، حتى يوافي به يوم القيامة » (١) .

* * *

وقال تعالى :

﴿ ومن الناس من يقول : آمنا بالله ، فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ، ولئن جاءهم نصر من ربك ليقولنَّ : إنا كنا معكم ، أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين ؟ ﴾

وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ، وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿٢﴾ .

نزلت هاتان الآيتان في المنافقين ، كانوا يقولون بالسنتهم :

« آمنا بالله » فإذا أصابهم أذى الناس ، جزعوا منه كما يُجزع من عذاب الله ، ولم يصبروا على الأذية في الله .

وقال بعض المفسرين : نزلنا في قوم أسلموا بمكة فأكرههم
المشركون على الخروج معهم إلى بدر ، فقتل بعضهم ، فأنزل الله
تعالى :

﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ، قالوا :
فيم كنتم ؟

قالوا : إنا كنا مستضعفين في الأرض .

قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟
فأولئك مأواهم جهنم ، وساءت مصيرا ﴿^(١) .

فكتب بها المسلمون من المدينة ، إلى المسلمين بمكة
فخرجوا ، فلحقهم المشركون ، فافتتن بعضهم ، فنزل ذلك
فيهم .

- قال تعالى : ﴿ وإذا مسه الخير منوعا ﴾ :

أي إذا أصاب المال ، منع منه حق الله تعالى .

ولهذا أمر الله تعالى بالإنفاق ، ورغب في السخاء والبذل :

قال الله تعالى :

﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ... ﴾^(١) .

﴿ وما تنفقوا من خير فلأنفسكم ، وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ، وما تنفقوا من خير يُوفَّ إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾^(٢) .

﴿ وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم ﴾^(٣) .

وفي الحديث الشريف :

« لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً ، فسلطه على هلكته في الحق - أي على إنفاقه في القرب والطاعات - ، ورجل آتاه الله حكمة ، فهو يقضي بها ويعلمها »^(٤) .

ومعناه : ينبغي أن لا يُغَبِّط أحد إلا على إحدى هاتين الخصلتين .

(٢) ٢٧٢ - البقرة .

(١) ٣١ - سبأ .

(٤) رواه البخاري ومسلم .

(٣) ٢٧٢ - البقرة .

وفي الحديث أيضاً :

« ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم اعط منفقاً خلفاً .

ويقول الآخر : اللهم اعط ممسكاً تلفاً »^(١) .

من تصدق بعدل ثمرة - أي بقيمتها أو بما يعادلها - من كسب طيب ، - ولا يقبل الله إلا الطيب - فإن الله يقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها ، كما يربي أحدكم فلأوه - أي مهره - حتى تكون مثل الجبل^(٢) .

ويصدق هذا المعنى قوله تعالى :

﴿ يمحى الله الربا ، ويُرَبِّي الصدقات ﴾^(٣) .

* * *

وكما حضّ الله على البذل والجود والإنفاق ، حذّر من البخل والشح .

(١) رواه البخاري ومسلم . (٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) - البقرة .

قال الله تعالى :

﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ ^(١) .

وفي الحديث الشريف :

« اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح ، فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم - أي قتل بعضهم بعضا - واستحلوا محارمهم - أي ما حرم الله عليهم - » ^(٢) .

وأقبح أنواع البخل ، البخل بما فرض الله تعالى ، كالبخل بالزكاة المفروضة ، التي هي أحد أركان الإسلام ، وقد جاء في منعها وعيده شديد .

وكذلك البخل بالحقوق المحتومة ، كالديون .

وكذلك البخل بالواجبات ، كالنذور والكفارات ، والنفقة على العيال .

(٢) رواه مسلم .

(١) - التغابن .

وتأتي بعد ذلك مذمة البخل في سائر القربات ، كبناء المساجد ، ومواساة الفقراء ، وإغاثة الملهوفين .

* * *

وقد ذم الله تعالى الحرص والطمع اللذين هما من طبيعة الإنسان .

قال الله تعالى :

﴿ قل : لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي ، إذن لأمسكنم خشية الإنفاق ، وكان الإنسان قتورا ﴾ ^(١) .

أي بخيلاً مضيئاً ، وذلك بسبب ما جُبِلَ عليه من البخل والحرص والطمع .

وفي الحديث الشريف :

عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال :

خطَّ النبي ﷺ خطاً مربعاً ، وخطَّ خطاً في الوسط

خارجاً منه ، وخطَّ خُطْطاً صفاراً إلى هذا الذي في الوسط ،
من جانبه الذي في الوسط ، فقال :

هذا الإنسان ، وهذا أجله محيطاً به - أوقد أحاط به -
وهذا الذي هو خار أمله ، وهذه الخطط الصفار الأعراض
- أي ما يعرض له من الأمراض - فإن أخطأه هذا نهشه هذا ،
وإن أخطأه هذا نهشه هذا^(١) .

يقول ابن آدم : مالي ، مالي .

وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفانيت ، أو لبست
فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت^(٢) .

لو كان لابن آدم واديان من ذهب ، لابتغى لهما ثالثاً ، ولا
يملاً جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب^(٣) .

يهرم ابن آدم ، وتَشِبُّ منه اثنتان : الحرص على المال
والحرص على العمر^(٤) .

(١) رواه البخاري . (٢) رواه مسلم .

(٣) رواه البخاري ومسلم . (٤) رواه مسلم .

المستثنى من وصف الهلع والجزع والمنع :

ثم استثنى الله تعالى من هذه الأوصاف الذميمة : وصف الهلع والجزع والمنع ، كل إنسان تحلّى بالفضائل الآتية : فقال عز وجل :

- ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ :

أي على مواقيتها ، أو الذين يكثر فعل التطوع منها .

- والذين في أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم :

يريد الزكاة المفروضة ، لأنها جزء معلوم في كل من الأموال التي تجب الزكاة فيها .

كربع العشر في الذهب والفضة وعروض التجارة .

والعشر في الزروع إذا سقيت بماء المطر ونحوه .

ونصف العشر إذا سقيت بآلة .

- والذين يصدقون بيوم الدين :

أي بيوم الجزاء ، وهو يوم القيامة ، والإيمان به ركن عظيم

من أركان الإيمان .

ففي حديث جبريل عليه السلام ، حين سأل النبي ﷺ
عن الإيمان قال :

أن تؤمن بالله تعالى ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم
الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ^(١) .

- والذين هم من عذاب ربهم مشفقون : أي خائفون .

- إن عذاب ربهم غير مأمون ﴿ :

أي لا يأمنه أحد ، بل الواجب على كل أحد أن يخافه
ويشفق منه .

قال الله تعالى :

﴿ وإياي فارهبون ﴾ ^(٢) .

﴿ وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ ^(٣) .

(١) رواه البخاري ومسلم . (٢) ٤٠ - البقرة .

(٣) ١٧٥ - آل عمران .

وعن أنس رضي الله عنه أنه قال :

خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط ،
فقال : لو تعلمون ما أعلم ، لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً .

فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين - أي
من البكاء - (١) .

وكلما كان الإنسان أعرف بالله تعالى ، كان أشد خوفاً
منه .

ولهذا جاء في الحديث الشريف : أنا أخوفكم لله (٢) .

ودخل أبو بكر رضي الله عنه بستاناً ، فرأى عصفوراً في
ظل نخلة ، فقال :

هنيئاً لك يا طير ، تأكل الثمر ، وتستظل بالشجر ، وتصير
إلى غير حساب ، ليتني كنت مثلك !

وكان عمر رضي الله عنه يقول : ليت أم عمر لم تلد عمر .

(١) رواه البخاري ومسلم . (٢) رواه البخاري .

وحمل تبنة من الأرض وقال : ليتني كنت هذه التبنة .
 وكان يقول : والله لو أن بغلة عثرت في العراق ، لخشيت
 أن أسأل عنها ، لم لم أعبد لها الطريق ؟
 ولما حضرته الوفاة قال :
 ليتني أنجو منها كفافاً لا عليّ ولا ليّ .

* * *

ثم قال تعالى في وصف الذين استنهم من الأوصاف
 الذميمة :

- ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على
 أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ، فإنهم غير ملومين ، فمن
 ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾^(١) .
 فالله تعالى حرم الزنى فقال :

(١) ٢٩ - ٣١ - المعارج .

﴿ولا تقربوا الزنى ، إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾^(١) .

وفي الحديث الشريف :

« لا يزني الزاني حين يزني ، وهو مؤمن »^(٢) .

لا يحل دم امرئ مسلم ، يشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة^(٣) .

سدّ الإسلام ذرائع الزنى

وقد حرّم الإسلام كل مقدمات الزنى ودواعيه :

- حرّم النظر ، وأمر المرأة بالحجاب .

- وحرّم تكليم المرأة الشابة الأجنبية ، وسماع صوتها إلا لضرورة وقدر الضرورة .

(١) ٣٢ - الإسراء . (٢) رواه الشيخان .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

- وحرّم اللّمس والمصافحة .

ففي الحديث الشريف :

« كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيْبُهُ مِنَ الزِّنَى ، مَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ :

العَيْنَانِ زَنَاهُمَا النَّظْرَ ، وَالْأُذُنَانِ زَنَاهُمَا الْاسْتِمَاعَ ، وَاللِّسَانُ زَنَاهُ الْكَلَامَ ، وَالْيَدُ زَنَاهَا الْبَطْشَ ، وَالرِّجْلُ زَنَاهَا الْخَطَا ، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ يَكْذِبُهُ »^(١) .

- وحرّم الإسلام الخلوة بالمرأة الأجنبية ، وسفر المرأة وحدها .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾^(٢) .

وفي الحديث الشريف :

إِيَّاكُمْ وَالِدُخُولَ عَلَى النِّسَاءِ !

(١) رواه البخاري ومسلم . (٢) ٥٢ - الأحزاب .

فقال رجل من الأنصار : أفرأيت المحو ؟

قال : المحو الموت^(١) .

والحو : قريب الزوج كأخيه وابن أخيه وابن عمه .

وفي الحديث أيضاً :

« لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم »^(٢) .

« لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم ، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم »^(٣) .

- وأمر المرأة بالحجاب ، وحرم عليها التبرج - وهو إظهار الزينة - .

قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ ، يَدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ... ﴾^(٤) .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٤) ٥٩ - الأحزاب .

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

﴿ ولا يبيدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو
آباء بعولتهن أو أبنائهن ... ﴾^(١) .

وذكر محارم المرأة ، وهم أقاربها الأقربون ، وليس منهم ابن
العم وابن الخال ولا أخو الزوج ولا الصهر زوج الأخت ،
ونحوهم ممن يتساهل كثير من النساء اليوم بالظهور أمامهم من
غير حجاب .

- بل نهى الإسلام النساء أن يسمعن الرجال صوت الزينة .

قال الله تعالى :

﴿ ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من
زينتهن ﴾^(٢) .

* * *

حرّم الإسلام الحكيم الزنى ، وحرّم كل ما يؤدي إليه مما
ذكرناه ، وجعل ذلك سياجاً واقياً بين الإنسان وبين هذه
الفاحشة ، التي هي من أكبر الفواحش لأنها تؤدي إلى ضياع

الأنساب ، وشيوع الفاحشة ، وذلك يؤدي إلى تفكك الأسر ،
 وخراب البيوت ، وشتات الأولاد ، وهذا كله يؤدي بالمجتمع إلى
 علل وآفات ، وعهر وفجور ، وإباحية وانحلال ، وانهار
 ودمار ...

فله در الإسلام ، من دين حكيم ، وشرع قويم ، جاء بما
 يربي الإنسان على الطهر والعفاف ، ويضمن له سعادة الدنيا
 والآخرة .

* * *

ثم قال تعالى فين استثناهم من طبائع الإنسان الذميمة :

- ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾^(١) .

قال الله تعالى :

﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾^(٢) .

وفي الحديث الشريف :

(٢) ٥٨ - النساء .

(١) ٣٢ - المعارج .

« أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ أُثِمَّتْكَ ، وَلَا تَخْنِ مِنْ خَانَكَ »^(١) .

والأمانة تشمل ما يتعلق بالأموال والودائع ، والوفاء بالعهود ، وحسن القيام بالتكاليف الشرعية ، وأداءها على وجه الكمال ، فإن الشرائع أمانات ، ائتمن الله عليها عباده .

- ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴾^(٢) .

قائمون على من كانت عليه الشهادة ، من قريب أو بعيد ، أو حبيب أو بغيض ، يقومون بها عند الحاكم ، ولا يكتونها ولا يغيرونها .

قال الله تعالى :

﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ، وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثَمُ قَلْبِهِ ﴾^(٣) .

وقال تعالى في معرض الثناء :

(١) رواه البخاري وغيره . (٢) ٣٣ - المعارج .

(٣) ٢٨٣ - البقرة .

﴿والذين لا يشهدون الزور ، وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾^(١) .

وشهادة الزور من أكبر الكبائر .

ففي الحديث الشريف : قوله ﷺ :

ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟

قلنا : بلى يا رسول الله .

قال : الإشراف بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس فقال :

ألا وقول الزور ، وشهادة الزور .

فما زال يكررها ، حتى قلنا : ليته سكت^(٢) .

* * *

ثم قال تعالى :

- ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون ، أولئك في

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(١) ٧٢ - الفرقان .

جنات مكرمون ﴿١﴾ .

قال في أول أوصافهم : والذين هم على صلاتهم دائمون .

وقال في آخرها : والذين هم على صلاتهم يحافظون .

والدوام على الصلاة غير المحافظة عليها .

فدوامهم عليها : أن يحافظوا على أدائها ، ولا يُخلّون بها ،
ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل .

ومحافظتهم عليها : أن يراعوا إسباغ الوضوء لها ،
ومواقيتها ، ويقموا أركانها ، ويكملوها بسننها وآدابها ،
ويحفظوها من الإحباط بفعل المعاصي .

فالدوام يرجع إلى الصلوات نفسها .

والمحافظة ترجع إلى أحوالها .

- أولئك في جنات مكرمون :

أي يكرمهم الله تعالى فيها بأنواع الكرامات .

ففي الجنة من النعيم ، ما وصفه الله تعالى في كتابه
الكريم ، من ذلك قوله تعالى :

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ ، أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ... ﴾^(١) .

﴿ مثل الجنة التي وُعدَ المتقون ، فيها أنهار من ماء
غير آسن^(٢) وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من
خمر لذية للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، ولهم
فيها من كل الثمرات ، ومغفرة من ربهم ... ﴾^(٣) .

﴿ والسابقون السابقون ، أولئك المقربون ، في
جنات النعيم ، ثُلَّةٌ مِنَ الْأُولَى ، وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ،
عَلَى شُرُرٍ مُوضُونَةٍ^(٤) متكئين عليها متقابلين ، يطوف
عليهم ولدان مخلدون ، بأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ
مَعِينٍ ، لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا^(٥) وَلَا يُزْفُونَ^(٦) وفاكهة مما

(١) ٣٥ - الرعد .

(٢) أي غير متغير .

(٣) ١٥ - محمد ﷺ .

(٤) أي منسوجة .

(٥) أي لا يصيبهم صداد بشرها .

(٦) أي لا تذهب عقولهم بها .

يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وحوور عين^(١)
 كأمثال اللؤلؤ المكنون ، جزاء بما كانوا يعملون ، لا
 يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً ، إلا قليلاً سلاماً سلاماً .

وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ، في سدر
 مخضود^(٢) وطلح منضود^(٣) وظل ممدود ، وماء
 مسكوب ، وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ،
 وفرش مرفوعة ، إنا أنشأناهن إنشاءً ، فجعلناهن
 أبكاراً ، عَرَباً^(٤) أتراباً^(٥) لأصحاب اليمين ، ثلثة من
 الأولين وثلثة من الآخرين ﴿٦﴾ .

وفي الحديث الشريف ، أن النبي ﷺ قال :

قال الله تعالى : « أعددت لعبادي الصالحين ، ما لا عين

(١) أي نساء بيض واسعات الأعين .

(٢) شجر شعر لا شوك له .

(٣) أي موز أو مثله .

(٤) أي متحبات إلى أزواجهن .

(٥) أي متقاربات في السن والحسن .

(٦) ١٠ - ٤٠ - الواقعة .

رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، واقرءوا إن شئتم : .

﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴾ ^(١) .



(١) ١٧ - السجدة . رواه البخاري ومسلم .

١١ - ومن طبيعة الإنسان :

الظلم ، والجهل ، وكفران النعم

قال الله تعالى :

﴿الله الذي خلق السموات والأرض ، وأنزل من السماء ماءً ، فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم ، وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار .

وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار .

وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، إن الإنسان لظلوم كفار ﴿^(١) .

- وآتاكم من كل ما سألتموه :

(١) ٣٢ - ٣٤ - إبراهيم عليه السلام .

المعنى : وآتاكم من كل ما سألتموه ، ومن كل ما لم تسألوه ،
 فلم نسأله شمساً ولا قرأً ولا كثيراً من نعمه التي ابتدأنا بها ،
 فسبحانه من رب جواد كريم .

- وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها :

ولا تطيقوا عدّها ، ولا تقوموا بحصرها ، لكثرتها ، كالسمع
 والبصر وتقويم الصور ، إلى غير ذلك من العافية والرزق ، نعمّ
 لا تحصى ، وهذه النعم كلها من الله عز وجل ، فلم تبدّلون نعمة
 الله بالكفر ؟! فهلا شكرتم عليها ، واستعنتم بها على الطاعة ؟

- إن الإنسان لمظلوم كفار :

جاء الوصفان على المبالغة - أي كثير الظلم شديد الكفر .

* * *

وقال تعالى في وصف الإنسان بكفر النعم :

﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ، ضل من قد دعون إلا

إياه ، فلما نجسكم إلى البر أعرضتم ، وكان الإنسان
كفوراً ﴿١﴾ .

أي من طبيعة الإنسان ، اللجوء إلى الله تعالى في الشدائد ثم
الكفر به في النعم ، إلا من عصمه الله تعالى .



وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً
فَرَحَ بِهَا ، وَإِن تَصْبِهِم سَبِيلًا مَّا قَدَّمْتِ أَيْدِيهِمْ ، فَإِن
الْإِنْسَانُ كَفُورٌ ﴾ ﴿٢﴾ .

فإذا أذاق الله تعالى الإنسان منه رحمة ، من رخاء وصحة ،
فرح بها وبطر ، وإذا أصابته سبلة ، من بلاء وشدة ، كفر
فأخذ يعدد المصائب ، ونسي النعم .

دخل رجل من الصالحين على إنسان ، فشكا إليه الفقر ،
وأن الله تعالى قتر عليه في الرزق .

فقال له الرجل الصالح : أتحب أن تكون أعمى ، ولك

ألف دينار؟

قال : لا .

قال : أفتحب أن تكون أعمى ، ولك ألف دينار ؟

قال : لا .

قال : أفتحب أن تكون مقعداً ، ولك ألف دينار ؟

قال : لا .

قال : سبحان الله ، إن الله عندك بضاعة ، تقوم بثلاثة آلاف دينار ، وتشكو تقثيره عليك ؟!

* * *

وقال تعالى في وصف الإنسان بالظلم والجهل :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالْجِبَالِ ، فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا ، وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ، وَحَمَلَهَا
الْإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾^(١) .

(١) ٧٢ - الأحزاب .

الأمانة هنا : الفرائض والتكاليف الشرعية .

عرضها الله عز وجل على السموات والأرض والجبال ، إن أدوها أثامهم ، وإن ضيعوها عذبهم ، فكرهوا ذلك وأشفقوا منه - أي فزعوا وخافوا - من غير معصية لله في هذا الإباء ، ولكن تعظيماً لدين الله عز وجل ، ألا يقوموا به ، ثم عرضها على آدم عليه السلام ، فقبلها .

ومعلوم أن الجهاد لا يفهم الخطاب ولا يجيب ، فلا بد من تقدير الحياة على هذا القول .

وهذا العرض عرض تخيير لا إلزام .

والعرض على الإنسان إلزام .

قال بعض المفسرين : العرض في هذه الآية ضَرْبٌ مَثَلٌ على أن السموات والأرض ، على كبر أجرامها ، لو كانت بحيث يجوز تكليفها ، لثقل عليها تحمّلها ، لما فيها من الثواب والعقاب ، أي أن التكليف أمرٌ حقه أن تعجز عنه السموات والأرض . الجبال ، وقد كلفه الإنسان ، وهو ظلوم جهول لو عقل .

وهذا كقوله تعالى : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل ، لرأيتـه خاشعاً متصدّعاً من خشية الله ...

ثم قال : وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾^(١) .

وقال آخرون في معنى هذه الآية :

إنا عرضنا الأمانة على الجميع ، ثم حملناها الإنسان ، ليظهر شرك المشرك ، ونفاق المنافق ، ليعذبهم الله تعالى ، ويظهر إيمان المؤمن ، ليثيبه .

ولهذا قال تعالى بعدها :

﴿ ليعذب الله المنافقين والمنافقات ، والمشركين والمشركات ، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ، وكان الله غفوراً رحيماً ﴾^(٢) .

* * *

وقال تعالى في وصف الإنسان بالكفر :

﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ! مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ؟

مِنْ نَظْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ، ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ، ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ، ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ، كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾ (١) .

ذم الله تعالى في الإنسان كفره ، وعجب من شدة كفره ، مع عظيم نعمته عليه .

- ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ : يَسَّرَهُ لطريق الخير والشر - أَي يَبِّنْ لَهُ ذَلِكَ بما شرعه له من الشرائع - ودليله قوله تعالى :

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ، إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (٢) .

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ، وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ، وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ؟ ﴾ (٣) .

(٢) ٣ - الإنسان .

(١) ١٧ - ٢٣ - عبس .

(٣) ٨ - ١٠ - البلد .

قال العلماء : يَسِّرُ الله على كل أحد ما خلقه له ، وقدّره عليه .

وفي الحديث الشريف : اعملوا فكلّ ميسّر لما خُلِقَ له ^(١) .

- ثم قال تعالى : ﴿ فليَنظُرِ الإنسان إلى طعامه : أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً ^(٢) وزيتوناً ونخلاً ، وحدائق غلباً ^(٣) وفاكهة وأباً ^(٤) متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ ^(٥) .

لما ذكر الله تعالى ابتداء خلق الإنسان ، وما قابل ربه به من الكفر ، ذكر ما يَسِّرُ له من رزقه فقال : فليَنظُرِ الإنسان إلى طعامه ...

أي ليتدبّر كيف خلق الله طعامه ، الذي هو قوام حياته ، وكيف هيأ له أسباب المعاش ، ليستعد للمعاد ؟

وقال تعالى :

-
- | | |
|--------------------------|------------------------------------|
| (١) رواه البخاري ومسلم . | (٢) أي علفاً للدواب . |
| (٣) أي عظيمة الشجر . | (٤) هو ما تأكله البهائم من العشب . |
| (٥) ٢٤ - ٣٢ - عبس . | |

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾^(١) .

أي لكفور جحود لنعم الله تعالى ، يذكر المصائب ، وينسى
النعم .

قال الشاعر في هذا المعنى :

يا أيها الظالم في فعله والظلم مردود على من ظلم
إلى متى أنت وحتى متى تشكو المصيبات وتنسى النعم

وقال بعضهم : الكنود : هو الذي ينفق نعم الله في معاصي
الله .

فاستعمال النعمة في طاعة الله شكر ، واستعمالها في معصية
الله كفر .

فعلى المؤمن العاقل ، أن يشغل جوارحه في طاعة ربه ،
وأن يصرفها عن معصيته ، وأن ينفق ماله فيما يرضي ربه
تبارك وتعالى ، ولا ينفقه في معاصيه ، ليكون شاكرًا لنعمه ،
غير كافر بها .

١٢ - ومن طبيعة الإنسان الكفور :

أنه ينسى ربه ، فلا يذكره إلا عند الشدة

قال الله تعالى :

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ ، دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا
أَوْ قَائِمًا ، فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ ، مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى
ضُرِّهِ ﴾ (١) .

أي إذا كشف الله عنه ضره ، استمر على كفره ، فلم يشكر
ولم يتعظ .

وهذه صفة كثير من المسلمين الخاطئين ؛ إذا أصابته العافية ،
مرّ على ما كان عليه من المعاصي .

وقال تعالى :

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرْ ، دَعَا رَبَّهُ مَنِيْباً إِلَيْهِ ، ثُمَّ
 إِذَا خَوَّلَهُ ^(١) نَعْمَةً مِنْهُ ، نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ
 قَبْلِ ^(٢) ۞ .

☆ ☆ ☆

(١) أَيِ أَعْطَاهُ وَمَلَكَه . (٢) ٨ - الزمر .

١٣ - من نعمة الله على الإنسان العلم

امتنَّ الله تعالى على الإنسان بما أعطاه من العلم
والبيان ، فقال :

﴿ الرحمن ، علَّم القرآن ، خلق الإنسان ، علَّمه
البيان ﴾^(١) .

أي علَّمه الكلام والفهم ، وقد فضَّل الله تعالى به الإنسان
على سائر الحيوان .

* * *

وقال تعالى :

﴿ اقرأ وربك الأكرم ، الذي علَّم بالقلم ، علَّم
الإنسان ما لم يعلم ﴾^(٢) .

أي علَّم الله الإنسان الخط بالقلم .

(٢) ٣ - ٥ - العلق .

(١) ١ - ٤ - الرحمن .

فَالْعِلْمُ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْإِنْسَانِ ، إِذْ لَوْ لَا الْعِلْمُ
وَلَوْ لَا الْكِتَابَةُ ، لَمْ يَقُمْ دِينٌ ، وَلَمْ تَحْفَظْ شُرَائِعُ ، وَلَمْ يُصْلَحْ أَمْرُ
دُنْيَا ، فَمَا دَوَّنَتْ الْعُلُومُ ، وَلَا قَيَّدَتْ الْحُكْمَ ، وَلَا صَبَّطَتْ أَخْبَارَ
الْأَوَّلِينَ وَأَقْوَاهُمْ ، وَلَا كُتِبَ اللَّهُ الْمَنْزِلَةُ إِلَّا بِالْكِتَابَةِ ، وَلَوْ لَا
الْكِتَابَةُ مَا اسْتَقَامَتْ أُمُورُ الدِّينِ وَالْدُنْيَا .

وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى الْعُلَمَاءَ بِالْحَشِيَّةِ ؛ وَرَفَعَ مِنْ شَأْنِهِمْ ،
فَقَالَ :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ^(١) .

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ؛ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا
الْعَالِمُونَ ﴾ ^(٢) .

وَقَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ :

﴿ وَقُلْ : رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ ^(٣) .

وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ :

(٢) ٤٣ - العنكبوت .

(١) ٢٨ - فاطر .

(٣) ١١٤ - طه .

« ... من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ، سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة »^(١) .

إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم ، رضاً بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ، ومن في الأرض ، حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد ، كفضل القمر على سائر الكواكب ، إن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما ، إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه به أخذ بحظ وافر^(٢) .

طلب العلم فريضة على كل مسلم^(٣) .

من سئل عن علم فكتمه ، ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة^(٤) .

وقال رسول الله ﷺ :

إن مثلاً ما بعثني الله به من الهدى والعلم ، كمثل غيث - أي

(١) رواه مسلم . (٢) رواه أبو داود والترمذي .

(٣) رواه ابن ماجه . (٤) رواه أبو داود والترمذي .

مطر - أصاب أرضاً ، فكانت منها طائفة طيبة ، قبلت الماء ،
فأنبتت الكلاً والعشب الكثير ، وكان منها أجادب - أي مواضع
صلبة - أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا منها ،
وسقوا وزرعوا .

وأصاب طائفة منها أخرى ، إنما هي قيعان - جمع قاع ،
وهي الأرض التي لا نبات فيها - لا تمسك ماء ، ولا تنبت
كلاً .

فذلك مثل من فقه في دين الله - أي صار فقيهاً فيه -
ونفعه ما بعثني الله به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك
رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به^(١) .

كيف يضيع العلم ؟

في الحديث الشريف :

« إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن
يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم ، اتخذ الناس

(١) رواه البخاري ومسلم .

رؤساء جهالا ، فسئلوا ، فافتوا بغير علم ، فضلوا ، وأضلوا»^(١) .

ينبغي أن يُطلب العلم لله :

في الحديث الشريف :

« من تعلّم علماً مما يبتغي به وجه الله ، لا يتعلّمه إلا ليصيب به عَرَضاً - أي مالاً - من الدنيا ، لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة - أي لم يَشْمَ ريحها - »^(٢) .

« من تعلّم علماً لغير الله ، أو أراد به غير الله ، فليتبوأ مقعده من النار »^(٣) .

يبقى أثر العلم خالداً :

في الحديث الشريف :

« من دعا الى هدى ، كان له من الأجر ، مثل أجور من

(١) رواه البخاري ومسلم . (٢) رواه أبو داود وابن ماجه .

(٣) رواه الترمذي وابن ماجه .

تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة ،
كان عليه من الإثم ، مثل آثام من تبعه ، لا ينقص من آثامهم
شيئاً»^(١) .

إذا مات ابن آدم ، انقطع عمله إلا من ثلاث :
« صدقة جارية ، أو علم يُنتفع به ، أو ولد صالح يدعو
له »^(٢) .



(٢) رواه مسلم .

(١) رواه مسلم .

١٤ - الإنسان مكلف ومأمور بالسعي

قال الله تعالى :

﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ، وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى ، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجِزَاءُ الْأَوْفَى ﴾^(١) .

فالإنسان مأمور بالسعي في الصالحات ، التي تسعده في الآخرة بدخول الجنة دار النعيم المقيم .

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعِيهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، فَأُولَئِكَ كَانَ سَعِيهِمْ مَشْكُورًا ﴾^(٢) .

فالأصل انتفاع الإنسان بسعيه ، ولا ينافي ذلك انتفاعه بعمل غيره !

روي أن عائشة رضي الله عنها اعتكفت عن أخيها عبد الرحمن ، وأعتقت عنه .

(٢) ١٩ - الإسراء .

(١) ٣٩ - ٤١ - النجم .

وروي أن سعد بن عبادَةَ رضي الله عنه قال للنبي ﷺ :

إن أُمِّي توفيت ، أفأتصدق عنها ؟

قال : نعم .

قال : فأَيُّ الصدقة أفضل ؟

قال : سقي الماء .

قال : فحفر بئراً ، وقال : هذه لأم سعد^(١) .

وقال رجل للنبي ﷺ :

إن أُمِّي افْتَلَتَتْ نَفْسَهَا - أَيِ فَاجَأَهَا الْمَوْتُ - وَأَرَاهَا - أَيِ
أَظْنَهَا - لَوْ تَكَلَّمْتُ تَصَدَّقْتُ ، فَهَلْ لَهَا مِنْ أَجْرٍ إِنْ تَصَدَّقْتُ
عَنْهَا ؟

قال : نعم^(٢) .

وجاءت امرأة إلى النبي ﷺ ، فقالت :

(١) رواه أبو داود وأحمد والنسائي .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

إن أُمي ماتت ولم تحج ، أفأحج عنها ؟

قال : نعم ، حجي عنها^(١) .

وأُتي رجلٌ النبي ﷺ ، فقال :

إن أبي مات ، وعليه حجة الإسلام ، أفأحج عنه ؟

قال : أرايت لو أن أباك ترك ديناً عليه ، أتقضيه عنه ؟

قال : نعم .

قال : فاحجج عن أبيك^(٢) .

وفي الحديث الشريف :

إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث :

صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو

له^(٣) .

(٢) رواه النسائي .

(١) رواه مسلم .

(٣) رواه مسلم .

فهذا كله يدل على أن المؤمن يصل إليه ثواب العمل الصالح من غيره ، وهذا تفضل من الله عز وجل ، كما أن مضاعفة الحسنات فضل منه سبحانه .

قال تعالى :

﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها ﴾^(١) .

وهذا أقل المضاعفة ، وإلا فالله تعالى قد يضاعف الحسنة إلى سبعين ، وإلى سبعمئة ، وإلى ما لا يعلم قدره إلا الله عز وجل ، وذلك بحسب إخلاص فاعلها ، ومنزلته من ربه تبارك وتعالى ، وبحسب الظرف الذي وقعت فيه الفعلة الصالحة :

كذكر الله تبارك وتعالى بين الغافلين .

والصلاة بالليل والناس نيام .

وإطعام الطعام ، والناس في حاجة .

وكالصيام في شدة الحر ، وفي سبيل الله ...

وكالبكاء من خشية الله تعالى أو حبه والشوق إليه ، في خلوة .

وإخفاء الصدقة .

وكالبذل في سبيل الله تبارك وتعالى .

قال الله تعالى :

﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة ، أنبتت سبع سنابل ، في كل سنبلة مئة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾^(١) .

وهذا كله تفضل من الله عز وجل ، وطريق العدل : أن ليس للإنسان إلا ما سعى .



١٥ - من شأن الإنسان الخسار

من شأن الإنسان وطبيعته الوقوع في الخسار ، ومجانبة ما فيه الربح والنجاة ، وفتوره في صالحات الأعمال ، إلا من رحم الله ، فهداه للإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر .

قال الله تعالى :

﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر ﴾^(١) .

يقسم الله تبارك وتعالى بالعصر ، وهو الدهر ، أو الليل والنهار ، ليلفت نظر الإنسان إلى تقلبها ، وسرعة انقضائها .

- إن الإنسان لفي خسر : أي لفي غبن وهلاك .

- إلا الذين آمنوا : استثناء من الإنسان الموصوف بالخسار .

(١) سورة العصر .

- وعملوا الصالحات : أي أدّوا الفرائض والطاعات .

- وتواصوا بالحق : أي أوصى بعضهم بعضاً به ، وحثّ بعضهم بعضاً عليه .

- وتواصوا بالصبر : الصبر على طاعة الله تعالى ، والصبر عن معاصيه ، والصبر على ما يصيبهم من البلاء والمصائب .

هذه السورة الكريمة ، قصيرة الآيات ، غزيرة المعاني في كلمات .

أقسم الله تعالى بالعصر ، وهو الزمن ، ولله سبحانه وتعالى أن يقسم بما شاء من الكائنات التي أوجدها ، مما يريد لفت الأنظار إلى ما فيه من آثار قدرته ، وعظيم حكمته .

ولكسب الزمن في نظر رجال العلم والعمل ، الموقع الأول في كسب الحياة وفي الظفر ، لأن ما يفوت من الزمن لا يعود .

وبعد هذا القسم ، بيّن الله تعالى الأمر الذي جاء هذا القسم لتأكيدهِ للناس ، ذلك هو أن البشر جميعاً مصيرهم إلى خسار ،

إلا الذين يسلكون الطريق الذي يرسمه لهم ، فأولئك هم
الفائزون .

وصف هؤلاء الفائزين بأنهم الذين تجتمع فيهم صفات عملية
أربع :

الأولى - هي الإيمان بالله تعالى ، فالعقيدة الصحيحة ،
هي أساس النجاح في جميع ميادين الحياة ، وأصل السعادة في
الدنيا والآخرة .

لكن العقيدة الصالحة وحدها ، لا تكفي للنجاة من
الخسران ، والنجاح في الحياة ، فقد يؤمن الإنسان ، ويكون ذا
عقيدة صحيحة صالحة ، لكنه لا يعمل بمقتضى عقيدته
وإيمانه ، فتغلبه شهواته وأطماعه ، فيعمل السيئات ويحترج
الآثام ، يخالف عقيدته نفسها ، فلا بد مع العقيدة من قواعد
أخرى ، يشترط السير عليها ، لتكفل الفوز من الخسران .

لذلك أعقب الله تعالى ، القاعدة الأولى في هذه السورة ،
بقاعدة ثانية .

والثانية - هي القيام بالأعمال الصالحة ، فقال : إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات .. والصالحات لا يحصيها عدّ ، فكل ما يغلب خيره شره ، فهو من الصالحات ، كالنصح والإخلاص والتعليم ، والاكتساب والجهاد ، وإقامة العدل ، والإصلاح بين الناس ، ودرء جميع أنواع المفسد ...

فإذا أضيف عمل الصالحات إلى العقيدة الصالحة ، كان ذلك هو الطريق الموصل للإنسان إلى النجاة والنجاح ، والفوز والفلاح ، في الدنيا والآخرة .

لكن هذا أيضاً لا يكفي ، لأن الإنسان إنما يعيش عيشة اجتماعية لا فردية ، فهو مغالط للناس ، ويحتاج إليهم ويحتاجون إليه ، وهذه الجماعات قد يوجد فيها من ينحرف عن جادة الاستقامة ، التي هي طريق الفوز ، ويميل إلى الطغيان والعدوان ، فلا بد من نظام يقيم حدود الحقوق في هذه الحياة الاجتماعية ، ولا بد من تضافر الناس الصالحين والتعاون بينهم ، على صيانة تلك الحقوق ، وحمايتها من الطغيان أو العدوان ، لأن الظلم بذرة الفساد ، ومبعث الفتن ، التي قد تهدم في

ساعات ، ما تبنيه الحياة الصالحة في سنوات .

لذلك ألحق الله تعالى بتلك القاعدة الثانية ، وهي عمل الصالحات ، قاعدة ثالثة .

والثالثة - هي التواصي بالحق . ولفظ التواصي يدل على قصد الحفظ المستمر ، إذ لا يفيد حفظ جيل من الناس للحق بينهم ، إذا تركوه عرضة للضياع من بعدهم ، لأنهم لم يؤسسوا له وسائل الدوام والاستمرار ، من تربية وإعداد ، في نفوس الجيل الصاعد .

لكن ألا يمكن أن يسير عليها بعض الناس ، ما دام لا يلقى في سبيلها مصاعب ومتاعب ، فإذا طال به الأمد ، تسرب إليه الملل ، وضعف عن الثبات في وجه الشهوات ، لذلك لابد من قاعدة رابعة .

والرابعة - هي الصبر والتواصي به .

١٦ - مما أوصى الله به الإنسان

قال الله تعالى :

﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حُسْناً ، وإن جاهداك
لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، إليَّ
مرجعكم ، فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾^(١) .

نزلت هذه الآية الكريمة في سعد بن أبي وقاص رضي الله
عنه .

قالت له أمه لما أسلم : أليس قد أمر الله بالبر ؟ والله لا أطعم
طعاماً ، ولا أشرب شراباً ، حتى أموت أو تكفر .

لتدعنَّ دينك ، أو لا آكل ولا أشرب ، حتى أموت ، فتعير
بي ، ويقال : يا قاتل أمه !
وبقيت يوماً ويوماً .

فقال لها سعد : يا أماه ! لو كانت لك مئة نفس ،
فخرجت نفساً نفساً ، ما تركت ديني هذا ، فإن شئت فكلي ،
وإن شئت فلا تأكلي .

فلما رأت ذلك أكلت .

فزلت : ﴿ وإن جاهدك لتشرك بي ما ليس لك به
علم ، فلا تطعها ﴾^(١) .

* * *

وقال تعالى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه ، حملته
أمه وهناً على وهن ، وفصاله في عامين ، أن اشكر لي
ولوالديك ، إليّ المصير .

وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به
علم ، فلا تطعها ، وصاحبها في الدنيا معروفاً ،
واتبع سبيل من أناب إليّ ، ثم إليّ مرجعكم ، فأنبئكم
بما كنتم تعملون ﴾^(٢) .

(٢) ١٤ - ١٥ - لقمان .

(١) رواه الترمذي .

حملته أمه وهناً على وهن :

أي حملته في بطنها ، وهي تزداد كل يوم ضعفاً على ضعف .

وفصاله في عامين : أي فطامه ، وأكثر مدة الرضاع سنتان .

أن اشكر لي ولوالديك :

الشكر لله على نعمة الإيمان ، وللوالدين على نعمة التربية .

* * *

وقال تعالى :

﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً ، حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً ^(١) وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ^(٢) .

(١) أي بكراهة ومشقة . (٢) ١٥ - الأحقاف .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : إذا حملت المرأة تسعة أشهر ، أرضعت واحداً وعشرين شهراً ، وإن حملت ستة أشهر ، أرضعت أربعة وعشرين شهراً .

* * *

هذه الآيات الكريمة ، توصية من الله تبارك وتعالى للإنسان ، ببر الوالدين ، والإحسان إليهما .

وتؤكد ذلك آيات كريمة أخرى ، منها قوله تعالى :

﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحساناً ، وبذي القربى ، واليتامى ، والمساكين ، والجار ذي القربى ، والجار الجنب^(١) والصاحب بالجنب^(٢) وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ﴾^(٣) .

وابن السبيل : هو الذي يجتاز بك ماراً .

وما ملكت إيمانكم : هم المماليك يعني الأرقاء .

(١) يعني الغريب . (٢) كالرفيق في السفر والزميل في العمل .

(٣) ٣٦ - النساء .

ومنها قوله تعالى :

﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر ، أحدهما أو كلاهما ، فلا تقل لهما : أفٍ ، ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل : رب ارحمهما ، كما ربياني صغيرا ﴾ ^(١) .

فلا تقل لهما أف : هي كلمة تضجر وكراهة .

ولا تنهرهما : أي لا تزجرهما عما يتعاطيانها مما لا يعجبك .

واخفض لهما جناح الذل من الرحمة : أي تواضع لهما رحمة لهما وشفقة عليهما .

* * *

أحق الناس بعد الله سبحانه بالشكر والإحسان ، والتزام البر والطاعة له والإذعان ، من قرن الله الإحسان إليه ،

(١) ٢٣ - ٢٤ الإسراء .

بعبادته وطاعته ، وشكره بشكره ، وهما الوالدان ، إذ قال تعالى : ﴿ أن اشكر لي ولوالديك ﴾ .

وبر الوالدين : الإحسان إليهما ، والقيام بحقوقهما ، وتكريمهما ، والتزام طاعتها ، واجتناب كل ما فيه إساءة لهما ، وفعل ما يرضيهما ... فمن قام بهذا استحق رضا الله عليه ، ومعونته وتوفيجه .

وعقوق الوالدين : إهمال حقوقهما ، والخروج عن طاعتها ، وفعل مالا يرضيهما ، وإيذاؤهما ولو بكلمة مرة ، أو نظرة شذرة ... فمن فعل شيئاً من هذا ، استحق سخط الله تعالى ، وحرّم معونته ، وارتكب إثماً من أكبر الكبائر .

وقد جاء في بر الوالدين أحاديث شريفة منها :

ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال :

سألت رسول الله ﷺ : أيّ العمل أحب إلى الله تعالى ؟ .

قال : الصلاة على وقتها .

قلت : ثم أيّ ؟

قال : برالوالدين .

قلت : ثم أيّ ؟

قال : الجهاد في سبيل الله^(١) .

وفي الحديث الشريف :

لا يجزي ولد والدأ - أي لا يكافئه - إلا أن يجده مملوكاً
فيشتريه فيعتقه^(٢) .

رغم أنف ، ثم رغم أنف ، ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند
الكبر ، أحدهما أو كلاهما ، فلم يدخل الجنة^(٣) .

رغم أنفه : كناية عن الذل ، كأن لصق بالرغام ، - وهو
التراب - هواناً .

- وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ ، فقال :

يا رسول الله ، من أحق الناس بحسن صحابتي - أي صحبتي - ؟ .

(١) رواه البخاري ومسلم . (٢) رواه مسلم .

(٣) رواه مسلم .

قال : أملك .

قال : ثم مَنْ ؟

قال : أملك .

قال : ثم مَنْ ؟

قال : أملك .

قال : ثم مَنْ ؟

قال : أبوك^(١) .

وأقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال :

أبايعك على الهجرة والجهاد ، أبتغي الأجر من الله تعالى .

فقال : هل لك من والديك أحد حيّ ؟

قال : نعم ، بل كلاهما .

قال : فتبتغي الأجر من الله تعالى ؟

(١) رواه البخاري ومسلم .

قال : نعم .

قال : فارجع إلى والديك فأحسن صحبتها^(١) .

وفي رواية قال : أحيي والداك ؟

قال : نعم .

قال : ففيها فجاهد .

- وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها قالت :

قدمتُ عليّ أُمي ، وهي مشركة ، في عهد رسول الله ﷺ - أي في معاهدته مع المشركين في الحديبية - فاستفتيت رسول الله ﷺ ، قلت :

قدمتُ عليّ أُمي وهي راغبة - أي طامعة بالصلة بالمال - أفأصل أُمي ؟

قال : نعم ، صلي أُمك^(٢) .

- وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :

(١) رواه البخاري ومسلم . (٢) رواه البخاري ومسلم .

كانت تحتي امرأة ، وكنت أحبها ، وكان عمر يكرها .

فقال لي : طلقها ، فأبيت .

فأتى عمر النبي ﷺ ، فذكر ذلك له .

فقال النبي ﷺ : طلقها^(١) .

- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أن رجلاً أتاه فقال :

إن لي امرأة ، وإن أُمي تأمرني بطلاقها .

فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

الوالد أوسط أبواب الجنة ، فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه^(٢) .

تحريم العقوق

وقد حُرِّمَ الإسلام العقوق ، وهو ضد البر ، وعده من أكبر الكبائر .

(٢) رواه الترمذي .

(١) رواه أبو داود .

- عن أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :

ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟

قلنا : بلى يا رسول الله .

قال : الإشراف بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً

فجلس فقال :

ألا وقول الزور وشهادة الزور .

فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت^(١) .

- وفي الحديث الشريف :

من الكبائر شتم الرجل والديه !

قالوا : يا رسول الله ، وهل يشتم الرجل والديه ؟

قال : نعم ، يسب أبا الرجل ، فيسب الرجل أباه ،

ويسب أمه فيسب أمه^(٢) .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(١) رواه البخاري ومسلم .

- إن الله تعالى حرّم عليكم عقوق الأمهات ، ومنعاً وهات ، ووأد البنات ، وكثره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال^(١) .

ومنعاً وهات : أي منع ما وجب عليه ، وطلب ما ليس له .

ووأد البنات : دفنهن في الحياة .

وقيل وقال : الحديث بكل ما يسمعه .

وإضاعة المال : تبذيره وصرفه في غير الوجوه المأذون فيها من مقاصد الدنيا والآخرة ، وترك حفظه مع إمكان الحفظ .

وكثرة السؤال : الإلحاح فيما لا حاجة إليه .

بر أصدقاء الوالدين

- جاء رجل فقال : يا رسول الله : هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما ؟

(١) رواه البخاري ومسلم .

فقال : نعم ، الصلاة عليهما - أي الدعاء لهما - والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما^(١) .

ولقي رجل من الأعراب عبد الله بن عمر بطريق مكة ، فسلم عليه عبد الله بن عمر ، وحمله على حمار كان يركبه ، وأعطاه عمامة كانت على رأسه .

ف قيل له : أصلحك الله ؛ إنهم الأعراب ، وهم يرضون باليسير .

فقال عبد الله بن عمر : إن أباهما هذا كان وداً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول :
إن أبرّ البر صلة الرجل أهل ود أبيه^(٢) .

والأعراب : جمع أعرابي ، وهو ساكن البادية .



(١) رواه أبو داود . (٢) رواه مسلم .

١٧ - تبكيت الإنسان

- قال الله تعالى :

﴿ أَيْحَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ؟! ﴾ ^(١)

أي أن يُخلى مهملاً ، فلا يُؤمر ولا يُنهى .

بل حكمة الله تعالى قضت أن يعيش الإنسان على وجه الأرض ، وأن يرسل إليه رسلاً ، ويشرع له شرائع ، ليميز المؤمن من الكافر ، والطائع من العاصي .

قال الله تعالى : ﴿ خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ؟ ﴾ ^(٢) .

- وقال تعالى : ﴿ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمْنَى ؟! ﴾ ^(٣) .

أي : أم للإنسان ما انتهى وتمنى من غير جزاء ؟

(٢) ٢ - الملك .

(١) ٣٦ القيامة .

(٣) الآية ٢٤ - النجم .

لا ، ليس له ذلك ، وليس الأمر كذلك .

فالله تعالى شرع شرائع ، وفرض فرائض ، ونهى عن محارم ، ووعد المؤمن الطائع بالجنة ، وأوعد الكافر والآثم بالنار .

- فله الآخرة والأولى : يعطي من يشاء ، ويمنع من يشاء ، لا ما تمنى الإنسان من دون عمل .

- قال الله تعالى :

﴿ ليس بآما نيكم ، ولا أمانى أهل الكتاب ، من يعمل سوءاً يُجْزَ به ... ﴾^(١) .

- وقال تعالى :

﴿ ولكنكم فتنتم أنفسكم ، وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور ﴾^(٢) .

(٢) الآية ١٤ - الحديد .

(١) الآية ١٢٣ - النساء .

وفي الحديث الشريف :

- الكَيْس - يعني العاقل - من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني^(١) .
فمن طلب النجاة من النار ، والفوز بالجنة من غير عمل ، فهو جاهل مغرور .

* * *

- وقال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ، الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ؟ ﴾^(٢) .

قال بعض السلف : غره شيطانه المسلط عليه ، وحقه وجهله .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

ما منكم من أحد ، إلا سيخلو الله به يوم القيامة ، فيقول له :

(١) رواه أحمد وغيره . (٢) الآية ٦ ، ٧ - الانفطار .

يا بن آدم ! ماذا عملت فيما علمت ؟

يا بن آدم ! ماذا أحبت المرسلين ؟

* * *

- وقال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا
فَمُلاقِيهِ ﴾^(١) .

أي إنك عاملٌ متعبٌ نفسك ، راجعٌ إلى ربك لا محالة ،
وستلقى ربك بعملك .

- فأما من أوتي كتابه بيمينه : وهو المؤمن الطائع .

فسوف يحاسب حساباً يسيراً : لا مناقشة فيه .

سمعتُ عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ يقول :

من حوسب يوم القيامة عَذَّب .

(١) الآية ٦ - الانشقاق .

فقلت : يا رسول الله ! أليس قد قال الله تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ؟ ﴾ .

فقال : ليس ذاك الحساب ، إنما ذلك العرض ، من نوقش الحساب عذب^(١) .

- وأما من أُوتِيَ كتابه وراء ظهره : وهو الكافر والمؤمن العاصي .

- فسوف يدعوا ثبورا : أي بالهلاك . يقول : يا ويلاه !
يا ثُبُوراه !

- وَيَصْلِي سَعِيرًا : أي ويدخل النار حتى يَصْلِي بِجَرِّهَا .

وصف الله تعالى أهل الجنة بالخفاة والحزن والبكاء والشفقة في الدنيا ، فأعقبهم به النعيم والسرور في الآخرة .

قال الله تعالى على لسانهم :

(١) رواه البخاري ومسلم .

﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ^(١)﴾ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا
وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ^(٢) .

ووصف أهل النار بالسرور في الدنيا والضحك فيها
والتفكر ، فقال :

﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مُسْرُورًا .

إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ^(٣)﴾ .

أي ظنَّ أن لن يرجع حياً مبعوثاً فيحاسب ، ثم يشاب أو
يعاقب .

يقال : حار يحور : إذا رجع .

ومنه قوله ﷺ : اللهم إني أعوذ بك من الحَوْر بعد
الكَوْر ، يعني من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة .

- قال تعالى : ﴿بَلَى : أَيْ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا ظَنَ ، بَلْ يَحُورُ
إِلَيْنَا وَيَرْجِعُ .

(١) أي خائفين . (٢) الآية ٢٦ ، ٢٧ - الطور .

(٣) الآية ١٣ ، ١٤ - الانشقاق .

- إن ربه كان به بصيراً ﴿١﴾ .

أي بصيراً به قبل أن يخلقه ، علماً بأن مرجعه إليه ، وما
يؤول إليه أمره من السعادة أو الشقاء .

☆ ☆ ☆

(١) الآية ١٥ - الانشقاق .

١٨ - الإنسان الكفور ينكر البعث

قال الله تعالى :

﴿ ويقول الإنسان : أئذا ما مت لسوف أُخرج حيا !
أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك
شيئا ؟ ﴾^(١) .

فالإنسان الكفور ، منكر للبعث ، غير مصدق بالآخرة .

جاء أبي بن خلف بعظام بالية ، ففتتها بيده ، وقال :

زعم محمد أنا نُبعث بعد الموت !

فيذكره الله تعالى بدء خلقه ، والإعادة مثلُ الابتداء ، فلم
يناقض الكافر نفسه ؟

قال تعالى : ﴿ فوربك لنحشرنهم والشياطين ، ثم
لنحضرنهم حول جهنم جثيا ﴾^(٢) .

يقسم الله تعالى بأنه سيعيدهم إليه ، ويحشرهم من قبورهم إلى المعاد ، ويعرضهم على النار .

إلى أن قال تعالى : ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ، ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ ^(١) .

* * *

وقال تعالى :

﴿ أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة ، فإذا هو خصيم مبين ؟ وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه ، قال من يحيي العظام وهي رميم ؟ قل : يحييها الذي أنشأها أول مرة ، وهو بكل خلق عليم ﴾ ^(٢) .

وقال تعالى :

﴿ يا أيها الناس ! إن كنتم في ريبٍ من البعث ، فإننا خلقناكم من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ...

(٢) ٧٧ - ٧٩ يس .

(١) ٧٢ - مريم .

إلى أن قال سبحانه : ذلك بأن الله هو الحق ، وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ﴿١﴾ .

* * *

وقال تعالى :

- ﴿٢﴾ أيحسب الإنسان أن لن نجعل عظامه ؟

- بلى ، قادرين على أن نسوي بنانه ﴿٣﴾ .

نَبّه بالبنان - وهو الأصبع - على بقية الأعضاء ، وهي أصغر العظام ، ومن قدر على هذا ، فهو على جمع الكبار أقدر .

- ﴿٤﴾ بل يريد الإنسان ليفجر أمامه ، يسأل أيان يوم القيامة ﴿٥﴾ .

يريد الإنسان ليكفر بالحق بين يدي قيام الساعة ، فينكرها .

(٢) ٣ - ٤ - القيامة .

(١) ٥ - ٧ الحج .

(١) ٥ - ٦ - القيامة .

- ثم يصف الله تعالى مشهداً من مشاهد القيامة ، فيقول :

﴿ فإذا برق البصر ، وُخِصِفَ القمر ، وجُمِعَ الشمس والقمر ، يقول الإنسان يومئذٍ : أين المفر ؟ ﴾^(١) .

فالإنسان حين تفجؤه الساعة ، يتحير ويفزع ويُبْهَت ، فلا تطرف عينه ، وحينئذ يخسف القمر ، ويذهب ضوءه فلا يعود إليه ، ويذهب ضوء الشمس فلا يعود إليها .

وحينئذ يقول الكافر : أين المفر ؟ أين المهرب ؟

- يقول الله تعالى : ﴿ كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر .

أي لا ملجأ من النار ، ولا محيص عنها .

- يُنَبِّأُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ^(٢) .

أي بما قَدَّمَ وما أخر من عمل ، صالح أو سيء .

ففي الحديث الشريف :

« إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً
 علمه ونشره ، وولداً صالحاً تركه ، أو مصحفاً ورّثه ، أو
 مسجداً بناه ، أو بيتاً لابن السبيل بناه ، أو نهراً أجراه ، أو
 صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته ، تلحقه من بعد
 موته »^(١) .

من سنّ في الإسلام سنةً حسنة ، كان له أجرها وأجر من
 عمل بها بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سنّ
 في الإسلام سنةً سيئة ، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها
 بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء^(٢) .

قال الله تعالى :

﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى
 معاذيره ﴾^(٣) .

أي هو حجة على نفسه ، وشاهد عليها ، وهو شهود

(١) رواه ابن ماجه . (٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) ١٤ و ١٥ - القيامة .

جوارحه عليه : يداه بما بطش بهما ، ورجلاه بما مشى عليهما ،
وعيناه بما أبصر بهما ، فلا ينفعه اعتذاره عن نفسه ، فلو أدلى
بعذر أو حجة لم ينفعه ذلك ، كما قال تعالى في موضع آخر :

﴿ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ... ﴾^(١) .

* * *

وقال تعالى :

﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض
أثقالها ، وقال الإنسان : ما لها ؟ ﴾^(٢) .

تتزلزل الأرض بقيام الساعة في النفخة الأولى ، وتخرج
موتاهها من بطنها في النفخة الثانية ، فيقول الكافر من شدة
الهلول : ما لها ؟

قال تعالى :

﴿ يومئذ تحدث أخبارها ، بأن ربك أوحى لها ﴾ :

(٢) من سورة الزلزلة .

(١) ٥٢ - غافر .

أي تخبر الأرض بما عمل عليها من خير أو شر .

ففي الحديث الشريف :

قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية :

﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾ .

ثم قال : أتدرون ما أخبارها ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل

على ظهرها ، تقول : عمل يوم كذا ، كذا وكذا .

قال : فهذه أخبارها^(١) .

قال تعالى :

﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليرَوَا أعمالهم ، فمن

يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة

شراً يره ﴾^(٢) .

(٢) سورة الزلزلة .

(١) رواه الترمذي .

قال أهل اللغة : الذرّ ، أن يضرب الرجل بيده على الأرض ، فما علق بها من التراب ، فهو الذر ، والواحدة منه ذرة .

فلا يضيع من عمل الإنسان قليل ولا كثير ، بل يرى جزاءه في الآخرة .

وفي الحديث القدسي :

« يا عبادي ! إنما هي أعمالكم ، أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك ، فلا يلومن إلا نفسه »^(١) .



(١) رواه مسلم .

١٩ - ندامة الإنسان الكفور في الآخرة

قال الله تعالى :

﴿ فإذا جاءت الطامة الكبرى ، يوم يتذكر الإنسان ما سعى ، وبُرزت الجحيم لمن يرى ، فأما من طغى وأثر الحياة الدنيا ، فإن الجحيم هي المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هي المأوى ﴾^(١) .

- فإذا جاءت الطامة الكبرى : أي الداهية العظمى ، وهي نفخة الصور الثانية التي يكون معها البعث ، أو هي القيامة .

- فأما من طغى وأثر الحياة الدنيا : أي تجاوز الحد في العصيان .

قال حذيفة رضي الله عنه : أخوف ما أخاف على هذه الأمة ، أن يؤثرها ما يرون - أي من الدنيا وزهرتها - على ما

(١) ٣٤ - ٤١ - النازعات .

يعلمون - أي من أمر الآخرة -

ووجد في بعض الكتب ، أن الله تعالى قال :

لا يؤثر عبد دنياه على آخرته ، إلا بثت عليه همومه
وضيعته - أي أمر معيشته - ثم لا أبالي في أيها هلك .

- وأما من خاف مقام ربه : أي حذر مقامه بين يدي ربه
يوم القيامة فاتقاه ، وأقلع عن معصيته .

- ونهى النفس عن الهوى : أي زجرها عن المعاصي
والمحارم .

قال بعض السلف : ترك الهوى مفتاح الجنة ، لقوله عز
وجل :

﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن
الهوى ، فإن الجنة هي المأوى ﴾ .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

أنتم في زمان يقود الحق الهوى ، وسيأتي زمان يقود الهوى

الحق ، فنعوذ بالله من ذلك الزمان .

وقال تعالى في وصف بعض مشاهد القيامة :

﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ ، وَأَتَىٰ لَهُ الذِّكْرَى ،
يقول : يا ليتني قدمت لحياتي ﴾^(١) .

يعني في الآخرة يتبعظ الإنسان المقصر في جنب الله ،
ويتوب ، ومن أين له أن ينفعه الاتعاض والتوبة ، وقد فرط
فيهما في الدنيا ؟!

- فيومئذ لا يعذب عذابه أحد :

أي لا يعذب كعذاب الله أحد .

هذا حال الكافر والعاصي ، أما المؤمن الصالح ، الذي آمن
بالله ، واطمأنت نفسه إلى الله ، فسلم أمره إليه ، وتوكل في
أمره عليه ، فيخاطب هذا الخطاب الرقيق :

﴿ يا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمطمئنة ارجعي إلى ربك

راضية مرضية ، فادخلي في عبادي^(١) وادخلي
 جنتي^(٢) .

* * *

اللهم اجعل نفوسنا مطمئنة بالإيمان ، وارجمها إليك
 راضية مرضية ، وألحقنا بالصالحين ، وأدخلنا الجنة دار رضاك
 يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله
 وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

☆ ☆ ☆

(٢) معهم .

(١) أي انتظمي في سلوكهم .

(٢) ٢٧ - ٣٠ - الفجر .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
أصل الإنسان وبدء خلقه	١١
خلق الإنسان في تعب	٢١
عداوة الشيطان للإنسان	٢٩
لا يخفى على الله من الإنسان شيء	٣٣
الإنسان مرهون بعمله	٣٧
من طبيعة الإنسان العجلة	٤٥
مذمة العجلة	٤٨
و ضد العجلة الأناة	٤٨
من آفات العجلة	٤٩
الأناة غير التسويف	٥٦
العجلة فضيلة في أمور	٥٧
ومن طبيعة الإنسان الجدل	٦١
ومن طبيعة الإنسان الفرح بالنعمة	٦٥
ومن طبيعة الإنسان الهلع والجزع	٧٣

- المستثنى من وصف الهلع ٨٢
- سد الإسلام ذرائع الزنى ٨٦
- ومن طبيعة الإنسان الظلم والجهل ٩٧
- ومن طبيعته إنه ينسى ربه ١٠٧
- من نعمة الله على الإنسان العلم ١٠٩
- كيف يضيع العلم ؟ ١١٢
- ينبغي أن يطلب العلم لله ١١٣
- يبقى أثر العلم خالداً ١١٣
- الإنسان مكلف ١١٥
- من شأن الإنسان الخسار ١٢١
- مما أوصى الله به الإنسان ١٢٧
- تحريم العقوق ١٣٦
- بر أصدقاء الأب ١٣٨
- تبكيك الإنسان ١٤٠
- الإنسان الكفور ينكر البعث ١٤٧
- ندامة الكفور في الآخرة ١٥٥
- الفهرس ١٥٩

الناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

القاهرة ص.ب : ١٦١ غورية . ت : ٩٣٥٦٤٤

حلب ص.ب : ١٨٩٣ . هـ : ٣٣٧٧٥١

بيروت ص.ب : ١٣٥٣٣٧